الفَنُّ الأوَّل

عِلْمُ الْمَعَانِي

وهو عِلْمٌ يُعْرَفُ به أحوالُ اللفظِ العربى التى بها يطابقُ مقتضَى الحال.

ويَنحصِرُ فى ثمانيةِ أبواب(*):

١- أحوالُ الإسنادِ الخبرىِّ.	**٢- أحوالُ المسنَدِ إليه.**
٣- أحوالُ المسنَدِ.	**٤- أحوالُ متعلَّقاتِ الفعل.**
٥- القَصْر.	**٦- الإنشاء.**
٧- الفَصْلُ والوصل.	**٨- الإيجازُ والإطناب و المساواة(**).**

(*)سبق أن بينا عدم اختصاص علم المعانى وحده بتحقيق تلك المطابقة بل يشاركه فى ذلك علم البيان والبديع كذلك.

(**)قال المصنف فى الإيضاح: "ووجه الحصر: أن الكلام إما خبر أو إنشاء؛ لأنه إما أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه، أو لا يكون لها خارج، الأول الخبر، والثانى الإنشاء، ثم الخبر لا بد له من إسناد ومسند إليه ومسند، وأحوال هذه الثلاثة هى الأبواب الثلاثة الأولى، ثم المسند قد يكون له متعلقات إذا كان فعلاً ، أو متصلاً به، أو فى معناه(١)، كاسم الفاعل ونحوه، وهذا هو الباب الرابع، ثم الإسناد والتعلق كل واحد منهما يكون إما بقصر، أو بغير قصر، وهذا هو الباب الخامس، والإنشاء هو الباب السادس، ثم الجملة إذا قرنت بأخرى فتكون الثانية إما معطوفة على الأولى، أو غير معطوفة، وهذا هو الباب السابع، ولفظ الكلام البليغ إما زائد على أصل المراد لفائدة، أو غير زائد عليه، وهذا هو الباب الثامن(٢).

---

(١) يريد بالمتصل بالفعل : اسم الفاعل واسم المفعول ونحوهما ، ويريد بما فى معنى الفعل : المصدر ؛ لأنه يدل على الحدث كالفعل .

(٢)الإيضاح- (١٥).

لأنَّ الكلامَ إمَّا خبرٌ، وإما إنشاء، لأنه:

إنْ كان لنسبتِهِ خارجٌ تطابقه أو لا تطابقُهُ: فخبَرٌ(*)، وإلا: فإنشاء(**).

والخَبَرُ: لابُدَّ له من مسندٍ إليه، ومسندٍ، وإسناد(***).

(*)الخبر هو ما يحتمل الصدق والكذب لذاته، أى بقطع النظر عن خصوص المخبر أو خصوص الخبر، فالمخبر بالشيء قد يكون هو الله تعالى وهو أصدق القائلين، ومع ذلك يسمى كلامه خبرًا، فقولهم فى الخبر إنه يحتمل الصدق والخبر لذاته، أى بدون النظر إلى خصوصية المخبر، وإلا لم يجز تسمية كلام الله خبرًا لأنه لا يصح أن يقول فيه المؤمن إنه يحتمل الصدق والكذب، وهو عند الكافر كذب أو يحتمل الصدق والكذب.

وكذلك إخبار من يعلم كذبه يقينا كالدجالين والمتنبئين بالنبوة ادعاء وكذبا.

فتسمية ذلك كله خبرًا إنما هو بقطع النظر من خصوصية المخبر فيحتمل الصدق والكذب من جهة كونه خبرا مجردًا مقطوعًا عن نسبته إلى المخبر به، وذلك كقولنا: الله فاطر السموات والأرض. الجوّ حار. السماء صافية..إلخ. فهذا ونحوه يقال فيه: صدق أو كذب.

(**)والإنشاء بخلاف الخبر: هو ما لا يحتمل الصدق والكذب أى لا يقال فيه صدق أو كذب، وذلك كالاستفهام والتمنى والدعاء والحض...إلخ، وذلك كقولنا: أزيد، عندك. ليت الشباب يعود يوما. هلا ذاكرت. فهذا كله لا يقال فيه: صدق ولا كذب.

(***)المسند إليه: هو المحكوم عليه الذى يسند الحكم إليه، والمسند: هو المحكوم به، أى ما يحكم به على المسند إليه وينسب إليه.

والإسناد: هو النسبة القائمة بين المسند إليه والمسند، وذلك كقولنا: الإسلام حق.

فالإسلام: مسند إليه، لأنك أسندت إليه أو حكمت عليه بأنه حق.

وحق: مسند، لأنك أسندته إلى الإسلام أو حكمت به عليه.

والمقصود بالإسناد: تلك النسبة التى بين الطرفين.

والمسنَدُ: قد يكونُ له متعلَّقات إذا كان فعلاً أو فى معناه.

وكلٌّ من الإسناد والتعلُّق: إما بقَصْر أو بغيرِ قصر.

وكلُّ جملةٍ قُرِنَتْ بأخرَى: إمَّا معطوفةٌ عليها أو غيرُ معطوفة.

والكلامُ البليغُ: إمَّا زائدٌ على أصل المرادِ لفائدةٍ أو غيرُ زائد.

تنبيه

صدْقُ الخبر: مطابقتُهُ للواقع، وكَذِبُهُ: عَدمُها.

وقيل: "مطابقتُهُ لاعتقادِ المُخْبِرِ ولو خطأً، وعدَمُها[1]؛ بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾"[2]:

ورُدَّ: بأن المعنَى: لَكَاذِبون فى الشهادةِ، أو فى تسميتِها، أو فى المشهودِ به فى زعمهم.

الجاحظُ[3] "مطابقتُهُ مع الاعتقاد، وعدَمُها معه[4]، وغيرُهُما[5] ليس بصدق ولا كَذِب؛ بدليل: ﴿أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾[6]؛ لأن المراد بالثانى غيرُ الكذبِ؛ لأنه قسيمه، وغيرُ الصدق؛ لأنهم لم يعتقدوه":

وكذلك قولك: قام زيد.

زيد: مسند إليه لأنك أسندت إليه القيام أو حكمت به عليه.

وقام: مسند، وهو ما أسندته إلى زيد.

---

(١) أى وكذب الخبر: عدمها.

(٢) المنافقون: ١.

(٣) أى: قال الجاحظ.

(٤) أى مع اعتقاد أنه غير مطابق.

(٥) أى غير هذين القسمين.

(٦) سبأ: ٨.

ورُدَّ: بأنَّ المعنَى: "أمْ لم يَفْتَرِ؟!"؛ فعُبِّرَ عنه بـ"الجِنَّة"؛ لأنَّ المجنونَ لا افتراءَ له.

أحوالُ الإسنادِ الخَبَريِّ

لا شك أن قصدَ المخبِرِ بخبره إفادةُ المخاطَبِ: إمَّا الحُكمَ، أو كونَه عالِمًا به؛ ويسمَّى الأولُ: فائدة الخبر.

والثاني: لازمَها(*).

وقد يُنَزَّلُ العالِمُ بهما منزلة الجاهل؛ لعدمِ جَرْيِه على موجَبِ العِلْم(**)؛ فينبغي أن يُقْتَصَرَ من التركيبِ على قَدْرِ الحاجة(***):

(*)الأصل فى الخبر أن يلقى لأحد غرضين:

أ-إما إفادة المخاطب الحكم الذى تضمنته الجملة إذا كان جاهلا له، ويسمى ذلك الحكم: "فائدة الخبر" نحو: "الدين المعاملة".

ب-وإما إفادة المخاطب أن المتكلم عالم أيضًا بالحكم الذى يعلمه المخاطب، كما تقول لتلميذ أخفى عليك نجاحه فى الامتحان، وعلمته من طريق آخر: "أنت نجحت فى الامتحان"، ويسمى ذلك الحكم: "لازم الفائدة"(١).

(**)تنزيل العالم – بفائدة الخبر، أو لازمها، أو بهما معًا –منزلة الجاهل؛ لعدم جريه على موجب علمه؛ فيلقى إليه الخبر كما يلقى إلى الجاهل، كقولك لمن يعلم وجوب الصلاة وهو لا يصلى: "الصلاة واجبة"؛ توبيخًا له على عدم عمله بمقتضى علمه، وكقولك لمن يؤذى أباه: "هذا أبوك"(٢).

(***)يعنى إذا كان غرض المخبر إفادة المخاطب أحد الأمرين فينبغى أن يقتصر من التركيب على قدر الحاجة(٣).

---

(١)جواهر البلاغة- (ص٤٦).

(٢)جواهر البلاغة- (ص٤٩).

(٣)الإيضاح- (٢١).

فإن كان خالى الذهن من الحكم، والتردد فيه: استُغنِيَ عن مؤكدات الحُكْم. وإنْ كان متردِّدًا فيه، طالبًا له: حسُنَ تقويتُهُ بمؤكِّد(*).

وإن كان مُنْكِرًا: وجَبَ توكيدُهُ بحسب الإنكار؛ كما قال الله -تعالى- حكايةً عن رُسل عيسَى، عليه السلام، إذْ كُذِّبوا فى المَرَّة الأولى: ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾(1)، وفى الثانية: ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾(2)(**).

ويسمَّى الضَّرْبُ الأولُ: ابتدائيًّا، والثانى: طلبيًّا، والثالثُ: إنكاريًّا، وإخراجُ الكلامِ عليها: إخراجًا على مقتضَى الظاهر.

وكثيرًا ما يُخْرَجُ على خلافه.

(*)أى (إن كان متصور الطرفين مترددًا فى إسناد أحدهما إلى الآخر، طالبا له، حسن تقويته بمؤكد، كقولك: "لزيد عارف" أو "إن زيدًا عارف")(3).

(**)أى (وإن كان حاكمًا بخلافه وجب توكيده بحسب الإنكار؛ فتقول: "إنى صادق" لمن ينكر صدقك، ولا يبالغ فى إنكاره، و"إنى لصادق" لمن يبالغ فى إنكاره.

وعليه قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ • إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ• قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ• قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾(4) حيث قال فى المرة الأولى:﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾ وفى الثانية: ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ .

---

(١) يس: ١٤.

(٢) يس: ١٦.

(٣)الإيضاح- (٢١).

(٤) الآيات ١٣-١٦ من سورة يس .

إخراجُ الكلامِ على خلافِ مقتضَى الظاهر

فيُجْعَلُ غيرُ السائل كالسائل(*): إذا قدِّم إليه ما يلوِّحُ له بالخبر؛ فيَستَشْرِفُ له استشرافَ الطالبِ المتردِّد؛ نحوُ: ﴿وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾(١).

ويؤيد ما ذكرناه جواب أبي العباس(٢) للكندي(٣) عن قوله: إني أجد في كلام العرب حشوًا، يقولون ((عبد الله قائم)) و((إن عبد الله قائم)) و((إن عبد الله لقائم)) والمعنى واحد، بأن قال: بل المعاني مختلفة؛ فـ((عبد الله قائم)) إخبار عن قيامه، و((إن عبد الله قائم)) جواب عن سؤال سائل، و((إن عبد الله لقائم)) جواب عن إنكار منكر)(٤)(٥).

(*)قوله (يجعل غير السائل كالسائل أي غير المتردد عمومًا سواء سأل بلسان الحال أم المقال، وذلك أن الله تعالى لما قال لنوح عليه السلام ﴿ولا تخاطبني في الذين ظلموا﴾ حصل له من ذلك تردد في سبب ذلك النهي هل يكون ذلك لإهلاكهم أم لأمر آخر، فلذلك أكد له بقوله: ﴿إنهم مغرقون﴾.

ومما استشهد به لذلك المصنف في الإيضاح قول بعض العرب:

---

(١) المؤمنون: ٢٧.

(٢) هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن ثمالة الأزدي البصري أبو العباس المعروف بالمبرِّد ، الأديب النحوي اللغوي الفقيه ، ولد سنة ٢١٠ هـ وتوفي سنة ٢٨٥ هـ ، صاحب كتابي الكامل والمقتضب . انظر ترجمته في هدية العارفين ٦ / ٢٠ .

(٣) هو أبو يوسف يعقوب بن إسحق بن الصباح بن عمران بن إسماعيل بن محمد بن الأشعث الكندي البصري ، فيلسوف العرب وأحد أبناء ملوكها ، كان عارفًا بالطب والرياضيات والمنطق وسائر العلوم ، ولد بالبصرة وتوفي ببغداد حوالي سنة ٢٥٣ هـ . انظر ترجمته في هدية العارفين ٦ / ٥٣٧ .

(٤) حكاية المبرد مع الكندي ذكرها الرازي في نهاية الإيجاز / ٣٥٧.

(٥)الإيضاح- ٢١-٢٢.

.....

فغنها وهى لك الفداء إن غناء الإبل الحداءُ[1]

ثم قال وسلوك هـذه الطريقة شعبة من البلاغة فيها دقة وغموض، وروى عن الأصمعى[2] أنه قال: كان أبو عمرو بن العلاء[3] وخلفٌ الأحمر[4] يأتيان بشَّارًا[5]،

---

(١) البيت من الرجز بلا نسبة فى دلائل الإعجاز لعبد القاهر/٢٧٣، ٣١٦، وجمهرة اللغة/٩٦٤، ١٠٤٧، والإشارات للجرجانى/٣١، والضمير فى قوله (فغنها) للإبل، أى: فغنِّ لها، والحداء: بضم الحاء وكسرها مصدر حدا الإبل إذا ساقها وغنى لها، والشاهد فى أنه حين يقول غنها ليشتد سيرها، يفهم السامع أن غناءها هو الحداء الذى تساق به فتستشرف له نفسه، ومن هذا قول أبى نواس:

عليك باليأس من الناسِ إنَّ غنى نفسك فى الياسِ

(٢) هو حجة الأدب أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن على بن أصمع بن مظهر، أحد أعلام البصرة، كان راوية للشعر، ولد سنة بضع وعشرين ومائة ومات سنة ٢١٥ هـ، تصانيفه ونوادره كثيرة، وأكثر تواليفه مختصرات ذكرها ابن النديم فى الفهرست، وقد فُقِدَ أكثرها. انظر ترجمته فى سير أعلام النبلاء ١٠ / ١٧٥، وتاريخ بغداد ١٠ / ٤١٠ - ٤٢٠ ، ووفيات الأعيان ٣/١٧٠- ١٧٦، وبغية الوعاة ٢/١١٢، ١١٣، ومراتب النحويين/٤٦ - ٦٥ .

(٣) هو أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان ، واسمه عمرو بن عبد الله بن الحصين بن الحارث بن جلهم، أحد الأئمة القراء السبعة ، راوية ثقة للشعر ، روى عنه الأصمعى ، وأبو عبيدة ، كان أعلم الناس بالقرآن والعربية والعرب وأيامها والشعر وأيام الناس ، وكان ينزل خلف دار جعفر بن سليمان الهاشمى ، وكانت دفاتره ملء بيت إلى السقف ، ثم تنسَّك فأحرقها ، وقال فيه الفرزدق :

ما زلتُ أفتحُ أبوابًا وأغلقها حتى أتيتُ أبا عمرو بن عمَّار

توفى سنة ١٥٤ هـ . انظر ترجمته فى تهذيب الكمال ٣٤ / ١٢٠ ـ ١٣٠ .

(٤) هو خلف بن حيان ، أبو محرز ، المعروف بالأحمر ، راوية ، عالم بالأدب ، شاعر من أهل البصرة ، كان يضع الشعر وينسبه إلى العرب ، قال صاحب مراتب النحويين : وضع خلف على شعراء عبد القيس شعرًا كثيرًا وعلى غيرهم عبثًا به فأخذ ذلك عنه أهل البصرة وأهل الكوفة ، وله ديوان شعر .

(٥) بشار بن برد بن يرجوخ ، العقيلى بالولاء ، ولد بالبصرة ، ونشأ فى بنى عقيل ، احتلف إلى البوادى لاكتساب اللغة ، مع أنه كان أعمى ، اشتهر بالتشبيب فوشى به بعضهم إلى الخليفة، ولما لم يمتنع عن نظم الشعر فى هذا الموضوع وزاد أن هجا الخليفة فأمر صاحب شرطه ، فضربه بالسوط حتى مات سنة ١٦٧ هـ ، وقد أوفى على السبعين، انظر ترجمته فى الأغانى ٣ / ١٢٧ ، ووفيات الأعيان ١ / ١٢٥ ، والشعر والشعراء / ٧٦١.

وغيرُ[1]*المُنكِرِ كالمُنكِرِ: إذا لاح عليه شَيْءٌ من أمارات الإنكار؛ نحوُ[2] [من السريع]:

فيسلمان عليه بغاية الإعظام، ثم يقولان: يا أبا معاذ، ما أحدثت؟ فيخبرهما وينشدهما، ويكتبان عنه متواضعين له، حتى يأتى وقت الزوال، ثم ينصرفان، فأتياه يومًا، فقالا: ما هذه القصيدة التى أحدثتها فى ابن قتيبة[3]؟ قال: هى التى بلغتكما. قالا: بلغنا أنك أكثرت فيها من الغريب، قال: نعم، إن ابن قتيبة يتباصر بالغريب، فأحببت أن أورد عليه ما لا يعرف، قالا: فأنشدناها يا أبا معاذ، فأنشدهما:

بكرا صاحبى قبل الهجير إن ذاك النجاح فى التبكير[4]

حتى فرغ منها، فقال له خلف: لو قلت يا أبا معاذ مكان إن ذاك النجاح: بكّرا فالنجاح؛ كان أحسن، فقال بشار: إنما بنيتها أعرابية وحشية، فقلت: إن ذاك النجاح، كما يقول الأعراب البدويون، ولو قلت: بكّرا فالنجاح؛ كان هذا من كلام المولدين، ولا يشبه ذلك الكلام، ولا يدخل فى معنى القصيدة، قال: فقام خلف، فقبّل بين عينيه؛ فهل كان ما جرى بين خلف وبشار بمحضر من أبى عمرو بن العلاء -وهم من فحولة هذا الفن- إلا للطف المعنى فى ذلك وخفائه؟)[5].

*قال المصنف فى الإيضاح: (فإن مجيئه هكذا، مدلا بشجاعته قد وضع رمحه عارضا، دليل على إعجاب شديد منه، واعتقاد أنه لا يقوم إليه من بنى عمه أحد، كأنهم كلهم عُزَّل ليس مع أحد منهم رمح)[6].

---

(١) أى ويجعل غير المنكر كالمنكر.

(٢) البيت لحجل بن نضلة الباهلى، وهو شاعر جاهلى، والبيت فى "دلائل الإعجاز" للجرجانى، ص٣٠٤، ٣١٢، والمصباح لبدر الدين بن مالك، (٦)، و"الإيضاح" للقزوينى (٢٠/١).

(٣) ابن قتيبة المذكور هنا هو سلم بن قتيبة بن مسلم الباهلى الخراسانى، والى البصرة، وكان من عقلاء الأمراء، مات بالري سنة ١٤٩ هـ - ٧٦٦ م. انظر ترجمته فى الأعلام ٣ / ١١١.

(٤) البيت من الخفيف لبشار فى ديوانه ٢٠٣/٣، ودلائل الإعجاز/٢٧٢، ٣١٦، ٣٢٣، والإشارات والتنبيهات للجرجانى/٣١، والأغانى ١٨٥/٣، والهجير: من الزوال إلى العصر أو شدة الحر، والشاهد أن فى الشطر الأول يلوح بالثانى، ولهذا أتى به مؤكدًا.

(٥)(الإيضاح- (٢٢، ٢٣، ٢٤).

(٦)(الإيضاح- ص٢٤).

جَاءَ شَقِيقٌ عَارِضًا رُمْحَهُ إِنَّ بَنِي عَمِّكَ فِيهِمْ رِمَاحٌ(*)

والْمُنْكِرُ كَغَيْرِ الْمُنْكِرِ[1]: إذا كان معه ما إنْ تأمَّلَهُ ارتدَعَ؛ نحو: ﴿لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾[2](**).

(*)(ويعنى بقوله عارضًا مظهرًا، أو حامله على كتفه، من قوله: "ولو أن تعرضوا عليه عودًا" يعنى أن هذه حالة من يدعى الشجاعة، وأن خصمه ليس عنده ما يقابل به رمحه، وأنه غير ملتفت له، وقوله: فيهم رماح، الذى ذكروه أنه جمع رمح، ولو قيل: إنه مصدر استعارة من رمح الدابة برجلها لكان أليق بقوله فيهم من الجمع، (قلت): وفيما قاله المصنف نظر، لأن هذا الخبر ليس فيه إلا مؤكد واحد، فمن أين لنا أنه إنكاري؟ جاز أن يكون طلبيا، ويكون من القسم السابق، ويكون هذا التأكيد الواحد فيه استحسانيا لا واجبًا)[3].

(**)قوله: (نحو: ﴿لا ريب فيه﴾) ظاهر هذا الكلام أنه مثال لجعل منكر الحكم كغيره وترك التأكيد لذلك؛ وبيانه: أن معنى ﴿لا ريب فيه﴾ ليس القرآن بمظنة للريب، ولا ينبغى أن يرتاب فيه وهذا الحكم مما ينكره كثير من المخاطبين، لكن نزل إنكارهم منزلة عدمه لما معهم من الدلائل الدالة على أنه ليس مما ينبغى أن يرتاب فيه، والأحسن أن يقال: إنه نظير لتنزيل وجود الشيء منزلة عدمه بناء على وجود ما يزيله فإنه نزل ريب المرتابين منزلة عدمه تعويلا على وجود ما يزيله حتى صح نفى الريب على سبيل الاستغراق، كما نزل الإنكار منزلة عدمه لذلك حتى صح ترك التأكيد)[4].

---

(١) أى: ويجعل المنكر كغير المنكر.

(٢) البقرة: ٢.

(٣)(عروس الأفراح- ١٢٣)

(٤)(مختصر السعد- ٥٥).

وهكذا اعتباراتُ النَّفْيِ(*).

ثم الإسنادُ:

١ – منه: حقيقةٌ عقليةٌ(**)، وهى: إسنادُ الفعل – أو معناه– إلى ما هو له عند المتكلِّم، فى الظاهر؛ كقول المُؤْمِنِ: أنبَتَ اللهُ البَقْلَ، وقولِ الجاهل: أنبَتَ الرَّبِيعُ البَقْلَ، وقولِكَ: جاءَ زيدٌ، وأنت تعلم أنه لم يجىء.

(*)وهكذا أى: مثل اعتبارات الإثبات (اعتبارات النفى) من التجريد عن المؤكدات فى الابتدائى وتقويته بمؤكد استحسانًا فى الطلبى، ووجوب التأكيد بحسب الإنكار فى الإنكارى؛ تقول لخالى الذهن: ما زيد قائمًا، أو: ليس زيد قائمًا، وللطالب: ما زيد بقائم وللمنكر: والله ما زيد بقائم؛ وعلى هذا القياس.

(**)قال المصنف فى الإيضاح: (الإسناد منه حقيقة عقلية، ومنه مجاز عقلى:

أما الحقيقة فهى إسناد الفعل، أو معناه، إلى ما هو له عند المتكلم فى الظاهر والمراد بمعنى الفعل نحو المصدر، واسم الفاعل.

وقولنا " فى الظاهر " ليشمل ما لا يطابق اعتقاده مما يطابق الواقع، وما لا يطابقه، فهى أربعة أضرب:

أحدها: ما يطابق الواقع واعتقاده، كقول المؤمن: "أنبت الله البقل، وشفى الله المريض ".

والثانى: ما يطابق الواقع دون اعتقاده، كقول المعتزلى لمن لا يعرف حاله وهو يخفيها منه: " خالق الأفعال كلها هو الله تعالى ".

والثالث: ما يطابق اعتقاده دون الواقع، كقول الجاهل: " شفى الطبيب المريض " معتقدًا شفاء المريض من الطبيب، ومنه قوله تعالى حكايةً عن بعض الكفرة: ﴿وما يهلكنا إلا الدهر﴾[1] ولا يجوز أن يكون مجازا والإنكار عليهم من جهة ظاهر اللفظ؛ لما فيه من إيهام

---

(١) بعض الآية ٢٤ من سورة الجاثية .

٢- ومنه: مجازٌ عقلي(*)، وهو: إسنادُهُ إلى مُلابِسٍ له[١] غيرِ ما هو له بتأوُّلٍ(**).

الخطأ، بدليل قوله تعالى عقيبه ﴿وما لهم بذلك من علم ؛ إن هم إلا يظنون﴾[٢] والمتجوز المخطئ فى العبارة لا يوصف بالظن ، وإنما الظانُّ من يعتقد أن الأمر على ما قاله.

والرابع: ما لا يطابق شيئًا منهما، كالأقوال الكاذبة التى يكون القائل عالمًا بحالها دون المخاطب)[٣].

(*)(أى من الإسناد مجاز عقلى ويسمى مجازًا حكميا، ومجازًا فى الإثبات، وإسنادًا مجازيا)[٤].

(**)اعلم أن الفعل يلابس الفاعل والمفعول به حقيقة ويسند إليهما فإسناده إلى (الفاعل فيما بنى له كما فى "ضرب زيد عمرًا" والمفعول فيما بنى له، نحو: ضرب عمرو؛ فإن الضربية لزيد والمضروبية لعمرو)[٥].

فإسناد الفعل إلى الملابس له إذا كان فاعلا أو مفعولا هو إسناد حقيقى، وإسناده إلى غيرهما مجاز علاقته الملابسة.

فإذا كان الفعل أو ما فى معناه مبنيًّا للفاعل وأسند إلى المفعول كما فى (عيشة راضية) أى عيشة مرضية كان ذلك مجازًا إسناديًّا علاقته الملابسة، والمجاز هنا هو من جهة أن بناء العيشة لاسم الفاعل راضية والمراد اسم المفعول (مرضية) فالإسناد لاسم الفاعل هنا مجازى علاقته الملابسة، وكذلك مثل قولهم (ماء دافق) أى مدفوق، وكذلك مثل قولهم (سيل مفعم) فهو مبنى للمفعول ومسند إليه إسنادًا مجازيًّا، وهو مسند فى الحقيقة إلى اسم الفاعل، وكذا قولهم

---

(١)يشير بهذا إلى أنه لابد فيه من العلاقة كسائر المجازات، فالعلاقة هنا هى الملابسة، أى ملابسة العقل للفاعل المجازى من جهة وقوعه عليه أو فيه أو به أو نحو ذلك.

(٢) كالسابق.

(٣)الإيضاح- (ص٢٦).

(٤)الأطول شرح التلخيص بتحقيقى – ط دار الكتب العلمية- بيروت- (٢٦٣/١).

(٥)مختصر السعد- بتحقيقي- (ص٥٦).

وله[1] ملابساتٌ شتَّى يُلابِ الفاعَل، والمفعولَ به، والمصدَرَ، والزمانَ، والمكانَ والسبب: فإسنادُهُ إلى الفاعلِ أو الم عول به – إذا كان مبنيًّا له حقيقةٌ كما مَرَّ.

وإلى غيرِهما – للملابسة –: مَجَازٌ؛ كقولهم: عيشةٌ راضيةٌ، وسَيْلٌ مُفْعَمٌ، وشِعْرٌ شاعرٌ، ونهارُهُ صائمٌ، ونهرٌ جا ، وبَنَى الأميرُ المدينَةَ.

وقولُنا: "بتأوُّل"(*): يُخْرِجُ ما مَرَّ من قول الجاهل؛ ولهذا لم يُحْمَلْ نحوُ قولِهِ[2] [من المتقارب]:

أَشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الْكَبِيـ ـرَ كَـرُّ الْغَدَاةِ وَمَرُّ الْعَشِي

(شعر شاعرٌ) مثل به للمصدر (والأولى التمثيل بنحو جدّ جدُّه)[3].

وقولهم: (نهاره صائم) أى معصوم فيه، لأن الشخص صائم فى النهار، و(نهر جار) فى المكان لأن الماء جار فى النهر فهو مُجرى فيه، و(بنى الأمير المدينة) فهذا فى السبب، لأن الأصل بنى الجند أو البناءون ولكن لما كان الأمير سببًا للبناء لابس الفعل فهو مجاز إسنادى علاقته الملابسة.

(*)قال المصنف فى الإيضاح (وقولنا: " بتأول " يخرج نحو قول الجاهل: "شفى الطبيب المريض" ؛ فإن إسناده الشفاء إلى الطبيب ليس بتأول)[4].

وهذا يدل على أنه حمل قول الشاعر: أشاب الصغير وأفنى الكبير كرُّ الغداة ومرُّ العشىِّ على أنه أجراه مجرى الجاهل الذى يقول ذلك على سبيل الاعتقاد الخاطئ، وليس على أنه عالم بأن الأيام والليالى لا تشيب الصغير ولا تفنى الكبير، وأنه متأول لا يريد ظاهر كلامه.

---

(١) أى للفعل، أو معناه.

(٢) البيت للصلتان العبدى أورده بدر الدين بن مالك فى المصباح ص١٤٤ بلا عزو، وعبدالقاهر الجرجانى فى أسرار البلاغة ص٢٤٤.

(٣)مختصر السعد- (٥٩).

(٤)الإيضاح- (٢٧).

على المجاز؛ ما لم يُعْلَمْ أو يُظَنَّ بأنَّ قائلَهُ لم يُرِدْ ظاهرَهُ؛ كما استُدِلَّ على أنَّ إسناد "مَيَّزَ" فى قولِ أبى النَّجْمِ [من الرجز]:

مَيَّزَ عَنْهُ قُنْزُعًا عَــنْ قُنْــزُعِ جَذْبُ اللَّيَالى أَبْطِنِى أَوْ أَسْرِعِي[1]

مجازٌ بقوله عَقِيبَهُ [من الرجز]:

أَفْنَاهُ قِيلُ اللهِ لِلشَّمْسِ اطْلَعِى

وأقسامُه أربعةٌ: لأنَّ طَرَفَيْه:

إمَّا حقيقتان: نحوُ: أنبَتَ الربيعُ البَقْلَ.

والحق أن هذا بعيد، وأن أكثر شعراء العرب بما فى ذلك أهل الجاهلية يعتقدون أن الله تعالى هو المحيى والمميت والمتصرف فى الكون قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَــقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾[2]، ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُــمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[3]، ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّــمَوَاتِ السَّــبْعِ وَرَبُّ الْعَــرْشِ الْعَظِيمِ(٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ(٨٧) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُــوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ(٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ(٨٩) بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[4] والمقصد أن هذا الحمل بعيــد والأولى أن يجعــل الشاعر متأولا، وأن البيت شاهد على الإسناد المجازى باعتبار أن قائله متأول لم يــرد ظاهره.

---

(١) أورده بدر الدين بن مالك فى المصباح ص١٤٥، وفخر الدين الرازى فى نهاية الإيجاز ص١٨٢ وعزاه لأبى النجم وميز عنه: أى عن الرأس. القنزع: الشعر المجتمع فى نواحى الرأس. جذب الليالى: أى مضيها واختلافها. أبطئى أو أسرعى: حال من الليالى، على تقدير القول، أى مقولا فيها.

(٢) الزخرف:٩.

(٣) الزخرف:٨٧

(٤) المؤمنون:٨٦-٩٠.

أو مجازان: نحوُ: أحيا الـ ـضَ شَبَابُ الزَّمَان.

أو مختلفان: نحوُ: أنبتَ بقلَ شبابُ الزمان، وأحيا الأرضَ الربيعُ.

وهو فى القرآنِ كثيرٌ ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾[1]، ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ﴾[2]، ﴿يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾[3]، ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾[4]، ﴿وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾[5].

وهو غيرُ مختصٍّ بالخَبَر، بل يَجْرِى فى الإنشاء؛ نحو ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِى صَرْحًا﴾[6].

ولا بدَّ له من قرينة: لفظيَّة(*): كما مَرَّ.

(*)(أى لابد للمجاز الإسنادى من قرينة، إما لفظية؛ كما تقدم من قول أبى النجم: "أفناه قيل الله" فإنه قرينة صرفت اللفظ إلى مجازه، أو قرينة معنوية، كاستحالة قيام المسند بالمذكور عقلا، أى بالمسند إليه، ودخل فيه الصفات الحقيقية كالعلم، والجهل، والإضافية، كالقرب، والبعد، ونحو الموت أيضًا، وكذلك ذكر فى الإيضاح كاستحالة صدوره من المسند إليه، أو قيامه به، ليدخل ذلك كله. وقوله: كقولك: محبتك جاءت بى إليك الباء فيه للتعدية، أى محبتك أحضرتنى، وإنما أتت به نفسه، كذا فى الإيضاح، ويصح أن يقال: إنما أتى به الله تعالى وقوله: "أو عادة" أى استحالة عادة نحو: هزم الأمير الجيش، وبنى المدينة؛ لأن العادة أنه لا يفعل ذلك وحده. وقوله: وصدوره عن الموحد فى مثل: "أشاب الصغير" يعنى أن العلم بأن قائل ذلك البيت موحد قرينة صرفت الإسناد إلى المجاز)[7].

---

(١) الأنفال: ٢ حيث نسب الزيادة للآيات.

(٢) القصص: ٤ حيث نسب تذبيح الأبناء لفرعون لكونه الآمر به.

(٣) الأعراف: ٢٧ حيث نسب نزع اللباس عن آدم وحواء لإبليس لكونه متسببًا فيه.

(٤) المزمل: ١٧ حيث نسب لليوم تشييب الولدان.

(٥) الزلزلة: ٢ حيث نسب للأرض إخراج الأثقال.

(٦) غافر: ٣٦ "لأن هامان ليس مأمورًا أن يبنى بنفسه" (عروس الأفراح ١/١٤٩).

(٧)عروس الأفراح - (١/١٥٠-١٥١).

أو معنويَّة: كاستحالة قيامِ المسنَدِ بالمذكورِ:

عقلاً: كقولك: مَحَبَّتُكَ جاءَتْ بى إليك.

أو عادَةً: نحوُ: هزَمَ الأميرُ الجُنْدَ.

وكصدورِهِ عن الموحِّدِ فى مثل[من المتقارب]:

أَشَـــابَ الصَّغِـــيرَ...

(٢٦٢/١) ومعرفةُ حقيقته:

إمَّا ظاهرةٌ: كما فى قوله تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾[١] أى: فما رَبِحُوا فى تِجَارَتِهم.

وإمَّا خفيَّةٌ: كما فى قولك: سرَّتْنِى رؤيتُكَ، أى: سرَّنى اللهُ عند رؤيتك، وقولِهِ [من مجزوء الوافر]:

يَزِيـــدكَ وَجْـهُهُ حُسْنًا إِذَا ما زِدْتَـهُ نَظَـــرَا[٢]

أى: يزيُدكَ اللهُ حُسْنًا فى وجهه.

وأنكره السكاكىُّ(*)؛ ذاهبًا إلى: (أنَّ ما مَرَّ ونحوَهُ استعارةٌ بالكنايـة؛ علـى أنَّ المرادَ بالربيعِ الفاعلُ الحقيقيُّ؛ بقرينةِ نسبةِ الإثباتِ إليه، وعلى هذا القياسِ غيرُهُ):

(*)أى (أنكر السكاكى وجود المجاز العقلى فى الكلام، وقال: الذى عندنا نظمه فى سلك الاستعارة بالكناية، بجعل الربيع استعارة بالكناية عن الفاعل الحقيقى بواسطة المبالغة فى التشبيه - على ما عليه مبنى الاستعارة، كما سيأتى- وجعل نسبة الإثبات إليه قرينة للاستعارة، وبجعل الأمير المدبر لأسباب هزيمة العدو استعارة بالكناية عن الجند الهازم، وجعل نسبة الهزم إليه قرينة للاستعارة.

(١) البقرة: ١٦.

(٢) البيت لأبى نواس الشاعر، أورده فخر الدين الرازى فى نهاية الإيجاز ص١٧٧ بلا عزو.

وفيه نظرٌ[1]:

أ- لأنه يَسْتلزِمُ أنْ يكونَ المرادُ بـ"عيشَةٍ" فى قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾[2]: صاحِبَهَا؛ كما سيأتى.

- ألاَّ تصحَّ الإضافةُ فى نحو: "نَهَارُهُ صائمٌ"؛ لبطلان إضافةِ الشيْءِ إلى نفسِهِ.

- وألاَّ يكونَ الأمرُ بالبناءِ لهامان.

- وأنْ يَتوقَّفَ نحوُ: "أنبتَ الربيعَ البقلُ" على السمع.

واللوازمُ كلُّها منتفيةٌ.

وفيما ذهب إليه نظر؛ لأنه يستلزم أن يكون المراد بـ"عيشة" فى قوله تعالى: ﴿فهو فى عيشة راضية﴾[3] صاحب العيشة، لا العيشة، وبـ"ماء" فى قوله تعالى: ﴿خلق من ماء دافق﴾[4] فاعل الدفق، لا المنى؛ لما سيأتى من تفسيره للاستعارة بالكناية.

وأن لا تصح الإضافة فى نحو قولهم: "فلان نهاره صائم وليله قائم"؛ لأن المراد بالنهار -على هذا- فلان نفسه، وإضافة الشيء إلى نفسه لا تصح. وأن لا يكون الأمر بالإيقاد على الطين فى إحدى الآيتين -والبناء- فيهما- لهامان، مع أن النداء له. وأن يتوقف جواز التركيب فى نحو قولهم: "أنبت الربيع البقل، وسرتنى رؤيتك" على الإذن الشرعى؛ لأن أسماء الله تعالى توقيفية. وكل ذلك منتفٍ ظاهر الانتفاء. ثم ما ذكره منقوض بنحو قولهم: "فلان نهاره صائم" فإن الإسناد فيه مجاز، ولا يجوز أن يكون النهار استعارة بالكناية عن فلان؛ لأن ذكر طرفى التشبيه يمنع من حمل الكلام على الاستعارة، ويوجب حمله على التشبيه، ولهذا عد نحو قولهم: "رأيت بفلان أسدًا، ولقيني منه أسد" تشبيهًا لا استعارة، كما صرح السكاكى أيضًا بذلك فى كتابه)[5].

---

(١) أى: فيما ذهب إليه السكاكى نظر.

(٢) القارعة: ١٦.

(٣)سورة الحاقة:٢١

(٤)سورة الطارق:٦.

(٥)الإيضاح:(٣٦-٣٧).

ب- ولأنه يَنتقِضُ بنحوِ: "نهارُهُ صائمٌ"؛ لاشتمالِهِ على ذِكْرِ طَرَفَي التشبيهِ.

أحوالُ المُسْنَدِ إليه[1]

أولاً: حذفُ المسند إليه، وذِكْرُهُ.

حذف المسند إليه:

(٢٦٥/١) أما حذفُهُ:

١- لِلاحترازِ عن العَبَث بناءً على الظاهر[*].

أو تخييلِ العدولِ إلى أقوى الدليلَيْنِ من العقل واللفظ؛ كقوله [من الخفيف]:

قَالَ لِي: كَيْفَ أَنْتَ قُلْتُ: عَلِيلُ[2]

٣- أو آختبارِ تنبُّهِ السامعِ عند القرينة. ٤- أو مقدارِ تنبُّهه.

٥- أو إيهام صَوْنه عن لسانك. ٦- أو عكسِه.

٧- أو تأتِّي الإنكارِ لدى الحاجة. ٨- أو تعيُّنِه.

٩- أو ادِّعاءِ التعيُّنِ. ١٠- أو نحوِ ذلك[**].

---

[*] وذلك كقول من رأى الهلال: (الهلالُ) أى هذا الهلال، فحذف المسند إليه احترازًا عن العبث لأن ذكره لغو لا فائدة منه بناء على الظاهر المنظور إليه.

[**] (أما حذفه فإما لمجرد الاختصار والاحتراز عن العبث بناء على الظاهر.

وإما لذلك مع ضيق المقام.

---

(١) المسند اصطلاحًا هو: المتحدث به أو المحمول أو الخبر، والخبر هو: كل ما يصلح أن يخبر به كخبر المبتدأ. والمسند إليه: هو موضوع الكلام أو المتحدث عنه. ويسمى أيضًا: المحكوم عليه ويسمى العمدة والمتحدث عنه.

(٢) عجزه: سهر دائم وحزنٌ طويل. والبيت فى دلائل الإعجاز غير منسوب ١٨٤، والمعاهد (١٠٠/١)، والإيضاح (٥٦،٣٢/١) والتقدير: أى (أنا عليل) فحذف المسند إليه، ومن أمثلته أيضًا قوله تعالى: ﴿وما أدراك ماهية﴾. ﴿نار حاميه﴾ أى (هى نار حامية).

.....

وإما لتخييل أنّ فى تركه تعويلاً على شهادة العقل، وفى ذكره تعويلاً على شهادة اللفظ من حيث الظاهر، وكم بين الشهادتين !!

وإما لاختبار تنبه السامع له عند القرينة، أو مقدار تنبهه.

وإما لإيهام أن فى تركه تطهيرًا له عن لسانك، أو تطهيرًا للسانك عنه.

وإما ليكون لك سبيل إلى الإنكار إن مست إليه حاجة.

وإما لأن الخبر لا يصلح إلا له، حقيقة، أو ادعاء.

وإما لاعتبار آخر مناسب، لا يهدى إلى مثله إلا العقل السليم، والطبع المستقيم كقول الشاعر:

قال لي: كيف أنت ؟ قلت: عليل سهر دائم، وحزن طويل[1]

وقوله:

سأشكر عمرا إن تراخت منيتـــى أيادى لم تمنن وإن هى جلت[2]

فى غير محجوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت

---

(١) م مر على قائله، وهو بلا نسبة فى التبيان للطيبى ١/١٤٦، دلائل الإعجاز/٢٣٨، معاهد التنصيص١/١٠٠، الإشارات والتنبيهات/٣٤، المفتاح/٩٤، شرح المرشدى على عقود الجمان١/٥٢. والشاهد فى قوله (عليل) لأن التقدير : أنا عليل، وفى قوله (سهر دائم) لأن التقدير: حالى سهر دائم، والحذف فيه للاختصار والاحتراز عن العبث مع ضيق المقام بسبب الضجر والشعر.

(٢) البيتان لعبد الله بن الزبير فى ديوانه/١٤٢، ونسبهما فى الحماسة البصرية١/١٣٥ إلى عمرو بن كميل، وهما فى ديوان إبراهيم بن العباس الصولى فى الطرائف الأدبية/١٣٠، وفى التبيان للطيبى١/١٤٧، والمفتاح/٩٤، وشرح المرشدى على عقود الجمان١/٥٢ ونسبهما لأبى الأسود الدؤلى، وفى دلائل الإعجاز/١٤٩، والإشارات والتنبيهات/٣٠٣، ٣٤. وأيادى بدل اشتمال من عمرو، والتقدير : أيادى له، وقوله (إذا النعل زلت) كناية عن نزول الشر، والشاهد فى قوله (فتى) لأن التقدير : هو فتى، والحذف فيه للاختصار والاحتراز عن العبث مع ضيق المقام بسبب الشعر .

ذكر المسند إليه:

وأمَّا ذِكْرُهُ، فـــ:

١--لكونِهِ الأصلَ ولا مُقْتَضِى للعدولِ عنه.

٢- أو للاحتياطِ؛ لضعف التعويلِ على القرينة.

وقوله:

أ ت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه[١]

ن م سماء كلما انقض كوكب بدا كوكب تأوى إليه كواكبه

وقول العرب، فى ابن عم له موسر، سأله فمنعه، وقال: كم أعطيك مالي، وأنت تنفقه فيما يعنيك؟! والله لا أعطيتك، فتركه حتى اجتمع القوم فى ناديهم، وهو فيهم، فشكاه إلى القوم، وذمه، فوثب إليه ابن عمه، فلطمه، فأنشأ يقول:

سريع إلى ابن العم يلطم وجهه وليس إلى داعى الندا بسريع[٢]

حريص على الدنيا، مضيع لدينه وليس لما فى بيته بمضيع

وعليه قوله تعالى: ﴿صم بكم عمي﴾[٣]. وقوله ﴿سورة أنزلناها﴾ أى (هى سورة) حذف المسند إليه للتعظيم)[٤][٥].

---

(١) البيتان ينسبان لأبى الطمحان القينى، وللقيط بن زرارة، انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة١/٧١١، حماسة أبى تمام / ٥٢٢، معاهد التنصيص١/١٠٠، التبيان للطيبى ١/١٤٦، الإشارات والتنبيهات/٣٤، المفتاح / ٩٤، شرح المرشدى على عقود الجمان ١/٥٢. والبيتان فى المدح، وبعضهم يأخذ على البيت الأول ما فيه من تجاوز الحد فى المبالغة، والشاهد فى قوله (نجوم سماء) والتقدير : هم نجوم سماء، حيث حذف المسند إليه (المبتدأ) للاختصار ولضرورة الشعر.

(٢) البيتان للمغيرة بن عبد الله المعروف بالأقيشر الأسدى، لحمزة وجهه، شاعر ماجن وصاف للخمر، مدمن لها، توفى سنة ٨٠ هـ، انظر البيتين فى لطائف التبيان/٤٥، الإشارات والتنبيهات/٣٤، المفتاح/٩٤، الخزانة ٢/٢٨١، معاهد التنصيص٣/٢٤٢، دلائل الإعجاز/١٠٥. والشاهد فى قوله (سريع إلى ابن العم) لأن التقدير:هو سريع.

(٣) سورة البقرة : الآية ١٨ .

(٤)عروس الأفراح- ١/١٨٩ بتحقيقي.

(٥)الإيضاح ٣٨-٣٩.

٣- أو التنبيه على غباوة السامع(*). ٤- أو زيادة الإيضاح والتقرير.

٥- أو إظهار تعظيمه(**). ٦- أو إهانته.

٧- أو التبرُّك بذكره. ٨- أو استلذاذه(***).

(*)قال الطيبي في التبيان في مقتضيات ذكر المسند إليه: "أو تنبيهًا على غباوة السامع نحو قولك لعابد الصنم: (الصنم لا تصرف له). أو زيادة للإيضاح نحو قولك: (زيد عندى) جوابا لمن قال: (أين زيد؟). أو إهانة للمذكور نحو: (أنف الناقة عندنا) دلالة على ذم الملقب به. أو بسطًا للكلام والمقام يقتضيه للاستصغاء نحو:﴿هي عصاى﴾[طه:١٨]"(١).

(**)قال في التبيان: (أو لأن في ذكره تعظيمًا. قال مروان بن أبي حفصة:

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم أسود لها في غيل خفان أشبل

هم المانعون الجار حتى كأنما لجارهم فوق السماكين منزل

هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا)(٢)

(***)مثل قول (قيس بن الملوح:

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا ليلاى منكن؟ أم ليلى من البشر

وفي معناه قول أبي الطيب:

أساميا لم تزده معرفة وإنما لذة ذكرناها)(٣).

---

(١)التبيان في المعاني والبيان- الطيبي- (١٤٨/١).

(٢)التبيان في المعاني والبيان- الطيبي- (١٤٨/١).

(٣)التبيان في المعاني والبيان- الطيبي- (١٤٨/١).

٩- أو بسطِ الكلامِ حيثُ الإصغاءُ مطلوبٌ؛ نحوُ: ﴿هِيَ عَصَايَ﴾[١](*).

ثانيًا: تعريفُ المسند إليه، وتنكيرُه.

أ- تعريف المسند إليه:

تعريفُ المسنَدِ إليه بالإضمار(**):

(*)قال في عروس الأفراح: (الثامن بسط الكلام، حيث يقصد الإصغاء، كقول موسى عليه السلام ﴿هي عصاي﴾ ولذلك زاد على الجواب بقوله: ﴿أتوكأ عليها﴾ وما بعده وإنما أجمل المآرب لأن تفصيلها يطول، وقد يفضي الطول إلى الخروج عن الفصاحة.

قلت: وقولهم: (حيث الإصغاء مطلوب) فيه نظر؛ لأن المطلوب هو الكلام المستدعى من موسى عليه السلام لا الإصغاء، وأن أخذ الإصغاء من جانبه عز وجل فذلك لا يسمى إصغاء. ولو سمى فإنما كان المقصود كلام الله تعالى له، وأن يصغى هو له، وذلك لا يحصل ببسط الجواب، ولم يكن المقصود سماع الله تعالى، فإنه حاصل لا يزال إلا أن يقال: قصد تطويل المكالمة والمراجعة)[٢].

(**)قال المصنف في الإيضاح: "ثم التعريف مختلف:

فإن كان بالإضمار فإما لأن المقام التكلم؛ كقول بشار:

أنا المرءُ، لا أخفى على أحدٍ ... ذرت بيَ الشَّمس للقاصي وللدانى

وإما لأن المقام مقام الخطاب، كقول الحماسية:

وأنت الذي أخلفتني ما وَعَدْتَني ... وأشْمَتَّ بي مَنْ كان فيكَ يلومُ.

وإما لأن المقام مقام الغيبة، لكون المسند إليه مذكورًا، أو في حكم المذكور لقرينة، كقوله:

---

(١) طه: ١٨.

(٢)عروس الأفراح- (١٦٢-١٦٣)

وأمَّا تعريفه: (١/٢٧٤) فبالإضمار:

١- لأنَّ المقامَ للمتكلِّم. ٢- أو الخطاب. ٣- أو الغيبة.

وأصل الخطاب أن يكون لمعيَّن، وقد يترك إلى غيره؛ ليَعُمَّ كلَّ مخاطَب؛ نحوُ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾[1] أي: تناهت حالُهُمْ في الظهورِ؛ فلا يختصُّ بها مخاطَبٌ.

تعريف المسند إليه بالعَلَمية(*):

مِنَ البيضِ الوُجُوه بني سنانٍ لو أنَّك تَستَضيءُ بِهِم أضاءوا.

هُمُ حَلُّوا مِنَ الشَّرف المعلى ومن حَسَبِ العَشيرة حيثُ شاءوا.

وقوله تعالى: ﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾[المائدة:٨] أي العدل، وقوله تعالى: ﴿ولأبويه لكل واحد منهما السدس﴾[النساء:١١] أي ولأبوي الميت.

وأصل الخطاب أن يكون لمعين، وقد يترك إلى غير معين، كما تقول: "فلان لئيم، إن أكرمته أهانك، وإن أحسنت إليه أساء إليك" فلا تريد مخاطبًا بعينه بل تريد: إن أكرم، وإن أحسن إليه، فتخرجه في صورة الخطاب؛ ليفيد العموم أي سوء معاملته غير مختص بواحد دون واحد.

وهو في القرآن كثير، كقوله تعالى: ﴿ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم﴾[السجدة:١٢] أخرج في صورة الخطاب لما أريد العموم؛ للقصد إلى تفظيع حالهم، وأنها تناهت في الظهور حتى امتنع خفاؤها، فلا تختص بها رؤية راء تختص به، بل كل من يتأتى منه رؤية داخل في هذا الخطاب"[2].

(*) قال القزويني: " وإن كان بالعلمية فإما لإحضاره بعينه في ذهن السامع ابتداء

---

(١) السجدة: ١٢.

(٢) الإيضاح- (٤١-٤٢).

وبالعَلَمية:

١ - إحضارِه بعينه فى ذهن السامعِ ابتداءً باسمٍ مختصٍّ به؛ نحو:﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[١].

باسم ابتدا[ء] اسم يخصه كقوله تعالى: ﴿قل هو الله أحد﴾[٢] وقول الشاعر[٣]:

ابو مالك قاصر فقره على نفسه، ومشيع غناه[٤]

وقوله:

الله يعلم: ما تركت قتالهم حتى علوا فرسى بأشقر مزبد[٥]

وإما لتعظيمه، أو لإهانته، كما فى الكُنى والألقاب المحمودة والمذمومة.

وإما للكناية حيث الاسم صالح لها، ومما ورد صالحًا للكناية من غير باب المسند إليه قوله تعالى: ﴿تبت يدا أبى لهب﴾[٦] أى جَهَنَّمِيّ.

وإما لإيهام استلذاذه، أو التبرك به.

وإما لاعتبار آخر مناسب.

---

(١) الإخلاص:١.

(٢) سورة الإخلاص : الآية ١ .

(٣) القائل هو مالك بن عويمر المعروف بالمتنخل الهذلى من قصيدة له فى رثاء أبيه، وهو المذكور فى صدر البيت (أبو مالك) .

(٤) انظر البيت فى المفتاح / ٩٦، وشرح المرشدى على عقود الجمان ١ / ٥٧ .

ومعنى قصر فقره على نفسه : أنه لا يسأل أحدًا، ومعنى إشاعة غناه أنه يعطى كل الناس .

(٥) البيت للحارث بن هشام فى الاعتذار عن فراره عن أخيه أبى جهل يوم بدر، وبعده :

وعلمت أنى إنْ أقاتل واحدًا أقتل، ولا يضرر عدوى مشهدى

انظر البيت فى المفتاح / ٩٦، الإشارات والتنبيهات / ٣٧ . والأشقر : لون أحمر مشرب بالصفار، يريد به الدم، والشاعر يعتذر بأنه لم يفر إلا بعد أن جرح، فعلا دمه فرسه .

(٦) سورة المسد : الآية ١ .

٢- أو تعظيم.
٣- أو إهانة.
٤- أو كناية.
٥- أو إيهام استلذاذه.
٦- أو التبرُّك به.
٧- أو نحوِ ذلك.

تعريف المسند إليه بالموصليَّة(*):

(*)(وإن كان بالموصولية فإما لعدم علم المخاطب بالأحوال المختصة به سوى الصلة، كقولك: الذى كان معنا أمس رجل عالم.

وإما لاستهجان التصريح بالاسم.

وإما لزيادة التقرير، نحو قوله تعالى:﴿وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه﴾[1] فإنه مسوق لتنزيه يوسف عليه السلام عن الفحشاء، والمذكور أدل عليه من "امرأة العزيز" وغيره.

وإما للتفخيم كقوله تعالى: ﴿فغشيهم من اليم ما غشيهم﴾[2] وقول الشاعر:

مضى بها ما مضى من عقل شاربها ... وفى الزجاجة باق يطلب الباقى.

ومنه فى غير هذا الباب قوله تعالى: ﴿فغشاها ما غشى﴾[3] وبيت الحماسة:

صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه ... فلما علاه قال للباطل: أبعد.

وقول أبى نواس:

ولقد نهزت مع الغواة بدلوهم ... وأسمتُ سرح اللحظ حيث أساموا

وبلغتُ ما بَلَغَ امرؤ بِشبابــه ... فــإذا عُصــارة كُلِّ ذاكَ أثَــامُ

وإما لتنبيه المخاطب على خطأ، كقول الآخر:

---

(١)يوسف:٢٣.

(٢)طه:٧٨.

(٣)النجم:٥٤.

وبالموصوليَّة:

١- لعدمِ علْمِ المخاطَبِ بالأحوال المختصَّةِ به سوى الصِّلَة؛ كقولك: الذى كان معنا أمسِ رجُلٌ عالِمٌ.

٢- أو لاستهجانِ التصريحِ بالاسمِ.

٣- أو زيادةِ التقرير؛ نحوُ: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾[١].

٤- أو التفخيمِ؛ نحوُ: ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾[٢].

إن الذين ترونهم إخوانكـــم يشفى غليل صدورهم أن تُصرعوا

وإما للإيماء إلى وجه بناء الخبر، نحو: ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين﴾[٣].

ثم إنه ربما جعل ذريعة إلى التعريض بالتعظيم لشأن الخبر، كقوله:

إنَّ الذى سمك السماء بنى لنا بيتًا دعائمه أعزُّ وأطولُ

أو لشأن غيره، نحو: ﴿الذين كذبوا شعيبًا كانوا هم الخاسرين﴾[٤].

قال السكاكى: وربما جعل ذريعة إلى تحقيق الخبر، كقوله:

إنَّ التى ضربت بيتا مهاجرة بكوفة الجند غالت ودها غُولُ

وربما جعل ذريعة إلى التنبيه للمخاطب على خطأ، كقوله: "إن الذين ترونهم" البيت. وفيه نظر؛ إذ لا يظهر بين الإيماء إلى وجه الخبر وتحقيق الخبر فرق، فكيف يجعل الأول ذريعة إلى الثانى؟ والمسند إليه فى البيت الثانى ليس فى إيماء إلى وجه بناء الخبر عليه، بل لا يبعد أن يكون فيه إيماء إلى بناء نقيضه عليه)[٥].

---

(١) يوسف: ٢٣.

(٢) طه: ٧٨.

(٣) غافر: ٦٠.

(٤) الأعراف: ٩٢.

(٥) الإيضاح- (٤٣-٤٤).

٥- أو تنبيه المخاطَب على خطأ؛ نحوُ [من الكامل]:

إنَّ الَّذينَ تَرَوْنَهُمْ إخوانُكُمْ يَشْفِي غَليلَ صُدُورِهِمْ أَنْ تُصْرَعُوا[١]

٦- أو الإيماء إلى وجه بناء الخبَرِ؛ نحوُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[٢].

٧- ثم إنَّه ربَّما جُعِلَ ذريعةً إلى التعريضِ بالتعظيمِ:

لشأنه؛ نحو [من الكامل]:

إنَّ الَّذِى سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ[٣]

أو شأنِ غيرِه نحوُ: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾[٤].

تعريف المسند إليه بالإشارة:

وبالإشارة:

١- لتمييزه أكملَ تمييزٍ؛ نحوُ [من البسيط]:

هَـذَا أَبُـوالصَّقْرِ فَرْدًا فِـى مَحَاسِنِهِ مِنْ نَسْلِ شَيْبَانَ بَيْنَ الضَّالِ وَالسَّلَمِ[٥]

٢- أو التعريضِ بغباوةِ السامعِ؛ كقوله [من الطويل]:

أُولَئِكَ آبَائِى فَجِئْنِى بِمِثْلِهِـمْ إِذَا جَمَعَتْنَا يَا جَرِيرُ الْمَجَامِعُ[٦]

---

(١) البيت لعبدة بن الطيب، وهو شاعر مخضرم (شعر ص/ ٤٨)، التبيان (١/١٥٦)، المفضليات (١٤٧) شرح عقود الجمان ص٦٧، معاهد التنصيص (١/١٠٠).

(٢) غافر: ٦٠.

(٣) البيت للفرزدق، أورده بدر الدين بن مالك فى المصباح ص١٦، وهو فى ديوانه ص١٥٥، والإيضاح ص١١٧.

(٤) الأعراف: ٩٢.

(٥) البيت لابن الرومى، وسقط عجزه فى بعض النسخ.

(٦) البيت للفرزدق فى "ديوانه" (١١/٤١٨)، وأساس البلاغة (جمع)، والإشارات والتنبيهات ١٨٤، والإيضاح (١/١١٩)، والتبيان للطيبى (١/١٥٧) بتحقيقى.

٣- أو بيانِ حاله فى القُرْبِ، أو البُعْدِ، أو التوسُّط؛ كقولك: هذا أو ذلك أو ذاك زيدٌ.

٤- أو تحقيرِهِ بالقُرْبِ؛ نحو: ﴿أَهَذَا الَّذِى يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾[١].

٥- أو تعظيمِهِ بالبعد؛ نحو: ﴿الـــم ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾[٢].

٦- أو تحقيرِهِ؛ كما يقال: ذلك اللعينُ فعَلَ كذا.

٧- أو التنبيهِ عند تعقيبِ المشارِ إليه بأوصاف على أنه جديرٌ بما يَرِدُ بعده مِنْ أجلها؛ نحو: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٣].

تعريف المسند إليه باللام:

وباللام:

١- للإشارةِ إلى معهودٍ؛ نحوُ: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى﴾[٤] أى: ليس[٥] الذى طَلَبَتْ كالتى وَهَبْتُ لها.

٢- أو إلى نفسِ الحقيقةِ؛ كقولك: الرجلُ خَيْرٌ من المرأة.

٣- وقد يأتى لواحدٍ باعتبارِ عَهْدِيَّته فى الذهن؛ كقولك:"ادخُل السوقَ"؛ حيثُ لا عهد، وهذا فى المعنى كالنَّكِرة.

---

(١) الأنبياء: ٣٦.

(٢) البقرة: ١ - ٢.

(٣) البقرة: ٧.

(٤) آل عمران: ٣٦.

(٥) سقطت (ليس) من ط د/ خفاجى، وأثبتناها من شروح التلخيص، والمقصود (ليس الذكر الذى طلبته امرأة عمران كالأنثى التى وهبت لها).

٤- وقد يفيدُ استغ[1]؛ نحوُ: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾[2] وهو ضَرْبان:

- حقيقيٌّ؛ نحو: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾[3] أى: كلِّ غَيْبٍ وشهادة.

- وعُرْفيٌّ؛ نحوُ: جَمَعَ الأميرُ الصَّاغَةَ، أى: صاغَةَ بلدِهِ أو مَمْلكتِه.

واستغراقُ المفرَدِ أشْمَلُ؛ لدليلِ صحةِ: "لا رجالَ فى الدار": إذا كان فيها رجلٌ أو رجلان، دون: "لا رَجُلَ".

ولا تنافى بين الاستغراقِ وإفرادِ الاسمِ؛ لأنَّ الحرفَ إنما يدخُلُ عليه مجرَّدًا عن معنى الوَحْدة،، ولأنه بمعنَى كلِّ فردٍ لا مجموعِ الأفراد؛ ولهذا امتنَعَ وصفُهُ بنعتِ الجَمْعِ.

تعريف المسند إليه بالإضافة:

وبالإضافةِ:

١- لأنها أخصَرُ طريقٍ (إلى إحضارِ المسنَدِ إليه)[4]؛ نحو [من الطويل]

هَوَاى مَعَ الرَّكْبِ الْيَمَانِينَ مُصْعِدٌ[5] .....

٢- أو تَضَمُّنِها تعظيمًا لشأنِ المضافِ إليه، أو المضافِ، أو غيرِهما؛ كقولك: عَبْدِى حَضَرَ، وعبدُ الخليفة رَكِبَ، وعَبْدُ السلطانِ عندى،

٣- أو تحقيرًا؛ نحوُ: وَلَدُ الحَجَّامِ حاضرٌ.

ب- تنكير المسند إليه

---

(١) أى المعرف باللام المشار بها إلى الحقيقة.

(٢) العصر: ٢.

(٣) السجدة: ٦.

(٤) هذه الجملة غير موجودة فى النسخ المطبوعة، بين أيدينا، وأثبتناها من ط د/ حفاجى.

(٥) البيت لجعفر بن علبة، عجزه: (جنيب وجثمان بمكة موثق). المصعد: المبعد الذاهب فى الأرض. الجنيب: المجنوب المستتبع. الجثمان: الشخص. الموثق: المقيد.

وأمَّا تنكيرُهُ فـــ:

١- للإفراد؛ نحوُ: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾[١].

٢- أو النوعيَّةِ؛ نحوُ: ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾[٢].

٣- أو التعظيم.

٤- أو التحقيرِ؛ كقوله [من الطويل]:

لَهُ حَاجِبٌ فِي كُلِّ أَمْرٍ يشِينُهُ وَلَيْسَ لَهُ عَنْ طَالِبِ الْعُرْفِ حَاجِبُ[٣]

٥- أو التكثيرِ؛ كقولهم: إنَّ له لإبلاً، وإنَّ له لَغَنَمًا.

٦- أو التقليل: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[٤].

٧- وقد جاء للتعظيم والتكثيرِ؛ نحوُ: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ﴾[٥] أى: ذوو عددٍ كثيرٍ، وآياتٍ عِظَام.

ومِنْ تنكيرِ غيرِهِ:

١- للإفرادِ أو النوعيَّة؛ نحوُ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾[٦].

٢- وللتعظيم؛ نحوُ: ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[٧].

---

(١) القصص: ٢٠.

(٢) البقرة: ٧.

(٣) البيت لأبى السمط حفيد مروان بن أبى حفصة.

(٤) التوبة: ٧٢.

(٥) فاطر: ٤.

(٦) النور: ٤.

(٧) البقرة: ٢٧٩.

٣- وللتحقير؛ نحوُ: ﴿إِن نَظُنُّ إِلا ظَنًّا﴾[1].

ثالثًا: إتباعُ المسند إليه، وعدمُهُ

وصفُ المسنَدِ إليه:

وأمَّا وصفُهُ، فلكونِهِ:

١- مبيِّنًا له، كما تمَّا معناه؛ كقولك: الجسمُ الطويلُ العريضُ العميقُ يَحْتاجُ إلى فراغٍ يَشْغَلُهُ، ونحوُهُ في الكتب: قولُهُ [من المنسرح]:

الأَلْمَعِيُّ الَّذِي يَظُنُّ بِكَ الظَّـ ـظَنَّ كَأَنْ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا[2]

٢- أو مخصِّصًا؛ نحو: زيدٌ التاجرُ عندنا.

٣- أو مَدْحًا أو ذمًّا؛ نحوُ جاءني زيدٌ العالمُ أو[3] الجاهلُ؛ حيثُ يتعيَّنُ الموصوفُ قبل ذكره.

٤- أو تأكيدًا؛ نحوُ: أَمْسِ الدابرُ كان يومًا عظيمًا.

توكيد المسند إليه:

وأمَّا توكيدُهُ، فـ:

١- للتقرير.

٢- أو لدفعِ توهُّمِ التجوُّزِ، أو السهوِ، أو عدمِ الشمول.

بيان المسند إليه:

---

(١) الجاثية: ٣٢.

(٢) البيت لأوس بن حجر الشاعر الجاهلي في ديوانه ص٥٣، أورده بدر الدين بن مالك في المصباح ص٢٢، والإيضاح ص١٣٠؛ والألمعي: الذكي المتوقد، والبيت من قصيدة له في رثاء فضالة بن كلدة الأسدي.

(٣) سقطت (أو) من ب د/ خفاجي.

وأمَّا بيانُهُ، فـ:

- لإيضاحِهِ باسمٍ مختصٍّ به؛ نحوُ: قَدِمَ صديقُكَ خالدٌ.

الإبدال من المسند اليه:

وأمَّا الإبدالُ منه، فـ:

- لزيادة التقرير، نحوُ: جاءنى أخوك زيدٌ، وجاء القومُ أكثَرُهُمْ، وسُلِبَ عَمْرٌو[1] ثَوْبُهُ.

العطف على المسنَدِ إليه:

وأمّا العطفُ، فـ:

١- لتفصيل المسنَدِ إليه مع اختصارٍ، نحوُ: جاءنى زيدٌ وعمرٌو.

٢- أو المسنَد كذلك؛ نحوُ: جاءنى زيدٌ فعمرٌو، أو ثُمَّ عمرٌو، أو جاءنى القومُ حتى خالدٌ.

٣- أو رَدِّ السامعِ إلى الصواب؛ نحوُ: جاءنى زيدٌ لا عمرٌو.

٤- أو صَرْفِ الحكمِ إلى آخر؛ نحوُ: جاءنى زيدٌ بل عمرٌو، وما جاءنى عمرٌو بل زيدٌ.

٥- أو الشكِّ أو التشكيكِ للسامعِ[2]؛ نحوُ: جاءنى زيدٌ أو عمرٌو.

فصل[3] المسنَدِ إليه:

وأما فصلُهُ، فـ:

---

(١) فى طبعة د/ خفاجى (سلب عمر وزيد) هكذا وهذا خطأ، والصواب ما أثبتناه، وانظر ط الحلبي/ ص٦٢٧.

(٢) سقطت من ط د/ خفاجى.

(٣) أى تعقيب المسند إليه بضمير الفصل.

– لتخصيصِه بالمسنَدِ.

رابعًا: تقديمُ المسنَدِ إليه. وتأخيرُهُ:

تقديمُ المسنَدِ إليه:

وأما تقديمُهُ: فلكونِ ذِكْرِهِ أهَمَّ:

١– إمَّا لأنه الأصل ولا مقتضِى للعدولِ عنه.

٢– وإمَّا ليتمكَّنَ الخبرُ فى ذِهْنِ السامع؛ لأنَّ فى المبتدأ تشويقًا إليه؛ كقوله[1] [من الخفيف]:

وَالَّذِى حَارَتِ الْبَرِيَّةُ فيهِ حَيَوَانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِنْ جَمَادِ

٣– وإمَّا لتعجيلِ المَسَرَّة أو المَسَاءة؛ للتفاؤل أو التطيُّر؛ نحوُ: سَعْدٌ فى دارك، والسَّفَّاحُ فى دارِ صديقك.

٤– وإمَّا لإيهامِ:

– أنه لا يزولُ عن الخاطِرِ. – أو أنه لا يُسْتَلَذُّ إلاَّ به.

وإمَّا لنحوِ ذلك.

رأى عبدالقاهر:

قال عبدالقاهر: "وقد يقدَّم ليفيدَ تخصيصَهُ بالخبرِ المنفى إن ولِىَ حرفَ النفى؛ نحو: ما قُلْتُ هذا، أى: لم أَقُلْهُ مع أنه مَقُولُ غيري؛ ولهذا لم يصحَّ: (ما أنا قلتُ ولا غيري)، ولا: (ما أنا رأيتُ أحدًا) ولا: (ما أنا ضَرَبْتُ إلا زيدًا)؛ وإلاَّ فقد يأتى للتخصيص؛ رَدًّا على من زعَمَ انفرادَ غيرِهِ به، أو مشاركَتَهُ فيه؛ نحوُ: (أنا سعَيْتُ فى حاجتك).

---

(١) البيت للمعرّى، فى داليته الشهورة بسقط الزند ٢/١٠٠٤، والإيضاح ص١٣٥، والمصباح ص١٥.

ويؤكَّد على الأوَّل بنحو "لا غَيْرِى، وعلى الثانى بنحو: "وَحْدِي". وقد يأتى لتقوية الحكم؛ نحوُ: (هو يُعْطِى الجزيلَ)، وكذا إذا كان الفعلُ منفيًّا؛ نحوُ: (أنتَ لا تَكْذِبُ)؛ فإنه أشدُّ لِنَفْى الكذبِ من: (لا تَكْذِبُ)، وكذا مِنْ: (لا تَكْذِبُ أنتَ)؛ لأنه لتأكيدِ المحكومِ عليه لا الحُكْمِ.

وإن بُنِىَ الفعلُ على منكَّرٍ، أفاد تخصيصَ الجِنْسِ أو الواحدِ به؛ نحوُ: رجلٌ جاءنى، أى: لا امرأةٌ ولا رجلان".

رأى السكاكى:

ووافقه السَّكَّاكىُّ على ذلك؛ إلا أنه قال: "التقديمُ يفيدُ الاختصاصَ إنْ:

١- جاز تقديرُ كونِه[1] فى الأصلِ مؤخَّرًا على أنه فاعلٌ معنًى فقط؛ نحوُ: (أنا قمت).

٢- وقُدِّرِ[2].

وإلاَّ فلا يفيد إلا تقوِّى الحكمِ، سواءٌ جاز كما مر ولم يقدَّرْ، أو لم يجُزْ؛ نحوُ: "زيد قام".

واستَثْنَى المنكَّر، بجعْله من باب: ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾[3] أى: على القول بالإبدال من الضمير؛ لئلا ينتفى التخصيصُ إذ لا سببَ له سواه؛ بخلاف المُعَرَّفِ.

ثم قال: "وشرطه ألاَّ يَمنَعَ من التخصيصِ مانعٌ؛ كقولنا: "رجلٌ جاءنى" على ما مَرَّ،

---

(١) أى المسند إليه.

(٢) السعد: التقديم يفيد الاختصاص إن جاز تقدير كونه (أى المسند إليه) فى الأصل مؤخرًا على أنه فاعل معنى فقط (لا لفظا) نحو أنا قمت (فإنه يجوز أن يقدر أن أصله: قمت أنا فاعلاً معنى تأكيدًا لفظًا) وقدر (عطف على جاز يعنى أن إفادة التخصيص مشروطة بشرطين أحدهما جواز التقدير، والآخر أن يعتبر ذلك، أى يقدر أنه كان فى الأصل مؤخرًا).

(٣) الأنبياء: ٣.

دون قولهم: "شَرٌّ أَهَرَّ ذَا نابٍ":

أمَّا على التقدير الأول[1]: فلامتناعِ أن يرادَ: المُهِرُّ شرٌّ لا خيرٌ.

وأمَّا على الثاني[2]: فَلِنُبُوِّهِ عن مَظَانِّ استعماله.

وإذ قد صرَّح الأئمةُ بتخصيصه، حيث تأوّلوه بـ: (ما أهَرَّ ذا نابٍ إلا شرٌّ)-: فالوجْهُ تفظيع شأن الشرِّ بتنكيره":

وفيه نظر:

١- إذِ الفاعلُ اللفظي والمعنوى سواءٌ فى امتناع التقديمِ، ما بَقِيَا على حالهما؛ فتجويزُ تقديمِ المعنوى دون اللفظى تحكُّمٌ.

٢- ثم لا نسلِّم انتفاءَ التخصيصِ لولا تقديرُ التقديم؛ لحصولِهِ بغيره؛ كما ذَكَره.

٣- ثم لا نسلِّم امتناعَ أن يرادَ: "المُهِرُّ شرٌّ لا خيرٌ".

ثم قال: "ويقرُبُ مِنْ (هو قَامَ): (زيدٌ قائمٌ) فى التقوِّى؛ لتضمُّنه الضميرَ، وشبَّهَهُ[3] بالخالى عنه[4]: من جهةِ عدمِ تغيُّرِهِ فى التكلُّمِ والخطابِ والغَيْبةِ؛ ولهذا لم يُحْكَمْ بأنه جملةٌ، ولا عومِلَ معاملتَهَا فى البناء".

وإنما يُرَى تقديمُهُ كاللازم: لفظُ "مِثْل" و"غَيْر" فى نحو: (مِثْلُكَ لا يَبْخَلُ)، و: (غيرُكَ لا يَجُود) بمعنى: أنتَ لا تبخَلُ، و(أنتَ تجود) من غير إرادةِ تعريضٍ لغير المخاطَب[5]، لكونه

---

(١) يعنى تخصيص الجنس.

(٢) يعنى تخصيص الواحد.

(٣) أى السكاكى.

(٤) أى عن الضمير.

(٥) لغير المخاطب هكذا فى بعض النسخ، وفى البعض الآخر بغير المخاطب بالباء، والمراد أنه لا يراد بالمثل والغير إنسان آخر مماثل للمخاطب أو غير مماثل بل المراد نفى البخل عنه على طريق الكناية.

أعوَنَ على المرادِ[1] بهما.

قيل: وقد يقدَّم؛ لأنه دالٌّ على العموم؛ نحوُ: (كلُّ إنسانٍ لم يَقُمْ)؛ بخلاف ما لو أُخِّرَ؛ نحوُ: (لم يقُمْ كلُّ إنسان)؛ فإنه يفيدُ نفي الحُكْم عن جملة الأفراد، لا عن كلِّ فرد؛ وذلك لئلا يلزَمَ ترجيحُ التأكيد على التأسيسِ؛ لأن الموجَبَةَ المُهْمَلَةَ المعدولةَ المحمولِ في قوَّة السالبةِ الجزئيَّة المستلزمَة نفْي الحكمِ عن الجملة دون كُلِّ فرد، والسالبةَ المهمَلَةَ في قوة السالبةِ الكلِّيَّة المقتضيةِ للنفْي عن كلِّ فرد؛ لورودِ موضوعِهَا في سياق النفي:

وفيه نظر:

١- لأنَّ النفي عن الجملة في الصورةِ الأولى[2]، وعن كلِّ فردٍ في الثانية[3]: إنما أفاده الإسنادُ إلى ما أضيفَ إليه "كُلَّ"[4]، وقد زال ذلك الإسنادُ؛ فيكون تأسيسًا لا تأكيدًا.

٢- ولأنَّ الثانيةَ[5] إذا أفادت النفي عن كل فرد، فقد أفادت النفْي عن الجملة، فإذا حُمِلَتْ على الثاني لا يكونُ "كلٌّ"[6] تأسيسًا، ولأنَّ النكرةَ المنفيَّةَ إذا عمَّتْ، كان قولنا "لم يقمْ إنسانٌ" كليةً لا مُهْمَلةً.

وقال عبدالقاهر: "إنْ كانتْ كلمةُ "كُلٌّ" داخلةً في حيِّز النفي بأنْ أُخِّرَتْ عن أداته؛ نحوُ [من البسيط]":

---

(١) أي بهذين التركيبين لأن الغرض منهما إثبات الحكم بطريق الكناية التي هي أبلغ من التصريح والتقدم لإفادته التقوى أعون على ذلك.

(٢) وهي كل إنسان لم يقم.

(٣) وهي لم يقم كل إنسان.

(٤) وهو لفظ إنسان.

(٥) وهي لم يقم كل إنسان.

(٦) في بعض النسخ؛ حذفت "كل".

مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ[1]...

أو معمولةً للفعلِ المنفيِّ؛ نحوُ: "ما جاءنى القومُ كلُّهم"، أو: "ما جاءنى كُلُّ القوم"، أو: "لم آخُذْ كُلَّ الدراهم"، أو: "كُلُّ الدراهمِ لم آخُذْ"-: توجَّه النفْى إلى الشمول خاصَّةً، وأفاد ثبوتَ الفعلِ أو الوصفِ لبعضٍ، أو تعلُّقَهُ به.

وإلاَّ عَمَّ: كقولِ النبى ﷺ لَمَّا قال له ذو اليَدَيْنِ[2]: أَقَصُرَتِ الصَّلاَةُ أَمْ نَسِيتَ؟!: "كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ"[3]، وعليه قولُهُ [من الرجز]:

قَدْ أَصْبَحَتْ أُمُّ الْخِيَارِ تَدَّعِى عَلَىَّ ذَنْبًا كُلُّهُ لَمْ أَصْنَعِ[4]

تأخيرُ المسنَدِ إليه:

وأمَّا تأخيرُهُ: فلاقتضاءِ المَقامِ تقديمَ المسنَد.

إخراجُ الكلامِ على خلافِ مقتضَى الظاهر:

هذا كلُّه مقتضَى الظاهرِ؛ وقد يُخْرَجُ الكلامُ على خلافه:

أ- فيوضَعُ المضمَرُ موضعَ المظهَرِ؛ كقولِهِمْ: (نِعْمَ رجلاً) مكانَ: (نِعْمَ الرجُلُ زيدٌ) فى أحد القولَيْن[5]، وقولِهِمْ: (هو أو هى زيدٌ عالِمٌ) مكانَ الشأنِ أو القصةِ؛ لِيَتمكَّنَ ما يَعْقُبُهُ فى ذِهْنِ السامع؛ لأنه إذا لم يَفْهَمْ منه معنًى، انتظَرَهُ.

---

(١) عجز البيت للمتنبى، وعجزه:

تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن

(٢) أحد الصحابة.

(٣) الحديث أخرجاه فى الصحيحين، البخارى فى الصلاة ٨٨، ومسلم فى المساجد ٩٧، ٩٨ وغيرهما.

(٤) البيت لأبى النجم الراجز المشهور وهو فى المصباح ص١٤٤.

(٥) وهو قول من يجعل المخصوص خبر مبتدأ محذوف، لا على رأى من يجعله مبتدأ، ونعم رجلاً خبر.

وقد يُعْدَ ل(*):

أ- فإنْ ن[1] اسمَ إشارةٍ:، فـ:

١- لِكَ العناية بتمييزِه[2]؛ لاختصاصِه بحُكْمٍ بديعٍ؛ كقوله[3] [من البسيط]:

كَمْ قِ عَاقِلٍ أَعْيَتْ مَذَاهِبُهُ وَجَاهِلٍ جَاهِلٍ تَلْقَاهُ مَرْزُوقَا!

هَذَا ى تَرَكَ الأَوهَامَ حَائِرَةً وَصَيَّرَ الْعَالِمَ النِّحْرِيرَ زِنْدِيقَا!

٢- أو كُمٍ بالسامعِ، كما إذا كان فاقدَ البصر.

٣- أو اء على كمالِ بلادته. ٤- أو فطانته.

(*)(أى وضع الظاهر موضع المضمر، فإن كان ذلك الظاهر اسم إشارة ففائدته كمال العناية فى ترك مقتضى الظاهر إلى غيره، ومنه قول ابن الراوندى[4]:

سُبْحَانَ مَنْ وَضَعَ الأَشْيَاءَ مَوْضِعَهَا وَفَرَّقَ العِزَّ وَالإِذْلالَ تَفْرِيقَا

كَمْ عَاقِلٍ عَاقِلٍ أَعْيَتْ مَذَاهِبُهُ وَجَاهِلٍ جَاهِلٍ تلْقَاهُ مَرْزُوقَا

هَذَا الذِى تَرَكَ الأَوْهَامَ حَائِرَةً وَصَيَّرَ العَالِمَ النِّحْرِيرَ زِنْدِيقَا

فإن أصله هو؛ أى ما تقدم ذكره من إعياء مذاهب العاقل ورزق الجاهل)[5].

---

(١) أى المظهر الذى وضع موضع المضمر.

(٢) أى تميز المسند إليه.

(٣) البيتان لابن الراوندى الزنديق أوردهما بدرالدين بن مالك فى المصباح ص٢٩، وقد أورد الإمام الطيبى فى التبيان فى جوابه بيتين لطيفين هما:

كم من أديب فهم قلبُه مستكمل العقل مقل عدم

ومن جاهل مكثر ماله ذلك تقـديـر العزيـز العليم

انظر التبيان للطيبى بتحقيقى (١/١٥٨) ط المكتبة التجارية، مكة.

(٤) الأبيات لابن الراوندى، فى التبيان ١/١٥٨، الإيضاح ص١٥٥، والمفتاح ص١٩٧، والمصباح ص٢٩، وشرح عقود الجمان ١/٩١، ومعاهد التنصيص ١/١٤٧، وشرح السعد ص٤٥٠.

(٥) عروس الأفراح فى شرح تلخيص المفتاح، طبعة الدار العصرية (٢/٢٦٥).

هـ-أو ادّعاء كمال ظهوره[1]، وعليه[2] منْ غير هذا الباب[3] [من الطويل]:

تَعَالَلْتِ كَيْ أَشْجَى وَمَا بِكِ عِلَّةٌ ... تُرِيدِينَ قَتْلِي قَدْ ظَفِرْتِ بِذَلِكِ[4]

ب- وإنْ كان غيرَهُ(*)، فـ:

١- لزيادة التمكين، نحوُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾[5]، ونظيرُهُ منْ غيره[6](**): ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾[7].

(*)(أى إن كان الظاهر غير اسم الإشارة فيؤتى به بدلا عن الضمير لزيادة التمكين -أى التقرير والتثبيت- حتى يكون مستحضرًا لا يزول عن البال نحو: ﴿قل هو الله أحد(١) الله الصمد﴾ ففى إعادة لفظ الجلالة هذا المعنى، ونظيره من غير المسند إليه: ﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل﴾إن كان الحق الثانى هو الحق الأول، وقد يؤتى بالظاهر لإدخال الروع فى ضمير السامع وتربية المهابة أو تقوية داعية المأمور، ومثالهما قول الخلفاء أمير المؤمنين يأمرك بكذا، والأصل أنا آمرك)[8].

(**)(قوله "ومن غيره" أى غير المسند إليه على وضع الظاهر موضع المضمر لتقوية داعية المأمور لا للروع [مثل][9]: ﴿فإذا عزمت فتوكل على الله﴾ أى على)[10].

---

(١) أى ظهور المشار إليه.

(٢) أى على وضع اسم الإشارة موضع المضمر لادعاء كمال الظهور.

(٣) أى باب المسند إليه.

(٤) البيت لابن الدمينة، فى ديوانه ص١٦، وأورده بدر الدين بن مالك فى المصباح ص٢٩.

(٥) سورة الإخلاص: ١-٢.

(٦) أى نظير قوله تعالى "قل هو الله أحد الله الصمد" من غير باب المسند إليه.

(٧) سورة الإسراء: ١٠٥

(٨)عروس الأفراح فى شرح تلخيص المفتاح- (٢/٢٦٦-٢٦٧).

(٩) كلمة ليست بالأصل يستقيم بها المعنى.

(١٠)عروس الأفراح- (٢/٢٦٧).

٢- أو إدخالِ الرَّوْعِ فى ضميرِ السامعِ وتربيةِ المهابة.

٣- أو تقويةِ داعى المأمورِ.

مثالُهما: قولُ الخلفاء: أميرُ المؤمنين يَأْمُرُكَ بكذا، وعليه مِنْ غيره[١]: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[٢].

٤- أو الاستعطافِ؛ كقوله[٣] [من الوافر]:

إلهِى عَبْدُكَ الْعَاصِى أَتَاكَا ..... (٣٧٣/١)

السكاكىُّ: هذا غيرُ مختَصٍّ بالمسنَدِ إليه، ولا بهذا القدر، بل كُلٌّ من التكلُّمِ والخطابِ والغَيْبةِ مطلقًا[٤]: يُنْقَلُ إلى الآخر، ويسمَّى هذا النقلُ التفاتًا؛ كقوله[٥] [من المتقارب]:

تَطَاوَلَ لَيْلُكَ بِالأَثْمُدِ..... (*)

والمشهور[٦]: أنَّ الالتفاتَ هو التعبيرُ عن معنًى بطريقٍ من الثلاثةِ بعد التعبيرِ عنه بآخَرَ منها، وهذا أخَصُّ:

(*)(ومقتضى الظاهر: ليلى (بالأثمد: بفتح الهمزة وضم الميم: اسم موضع).

---

(١) أى على وضع المظهر موضع المضمر لتقوية داعى المأمور من غير باب المسند إليه.

(٢) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٣) ينسب البيت لرابعة العدوية وقيل: لإبراهيم بن أدهم وعجزه: مقرًا بالذنوب وقد دعاكا. أورده محمد بن على الجرجانى فى الإشارات ص٥٥، وبدر الدين بن مالك فى المصباح ص٣٠. وأصل الكلام: "إلهى: أتيتك.." فوضع الظاهر موضع المضمر فقال: (عبدك العاصى أتاك) وقد يجعل من باب التجريد كما تقول: "إنا لقيته لتلقين منه الأسد".

(٤) أى وسواء كان فى المسند إليه أو غيره وسواء كان كل منها واردة فى الكلام أو كان مقتضى الظاهر إيراده.

(٥) هو لامرئ القيس فى ديوانه ٣٤٤، والإيضاح ص١٩٥، والمصباح ص٣٥. والأثمد موضع، بفتح الهمزة وضم الميم، وعجزه: ونام الخلى ولم ترقد.

(٦) هذا مذهب الجمهور.

مثال الالتفات من التكلُّم إلى الخطاب: ﴿وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[1](*).

وإلى الغَيْبة: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾[2].

ومن الخطاب إلى التكلم [من الطويل]:

طَحَا بِكَ قَلْبٌ فِي الْحِسَانِ طَرُوبُ ... بُعَيْدَ الشَّبَابِ عَصْرَ حَانَ مَشِيبُ

تُكَلِّفُنِي لَيْلَى وَقَدْ شَطَّ وَلْيُهَا ... وَعَادَتْ عَوَادٍ بَيْنَنَا وَخُطُوبُ[3](**)

(*) والتقدير: (وإليه أُرجع) وهو مقتضى الظاهر، فعدل عنه إلى خلاف مقتضى الظاهر.

(**) ("مثال الالتفات من الخطاب إلى التكلم" (طحا)[4] أي: ذهب (بك قلب في الحسان طروب) ومعنى طروب في الحسان: أن له طروبا في طلب الحسان ونشاطا في مراودتهن (بعيد الشباب) تصغير بعد للقرب؛ أي: حين ولى الشباب وكاد يتصرم (عصر) ظرف مضاف إلى الجملة الفعلية؛ أعني قوله:(حان) أي: قرب (مشيب يكلفني ليلى) فيه التفات من الخطاب في: بك إلى التكلم، ومقتضى الظاهر: يكلفك، وفاعل يكلفني: ضمير القلب، وليلى: مفعوله الثاني؛ والمعنى يطالبني القلب بوصل ليلى، وروى: تكلفني بالتاء الفوقانية على أنه مسند إلى ليلى، والمفعول محذوف؛ أي: شدائد فراقها؛ أي: على أنه خطاب للقلب فيكون التفاتا آخر من الغيبة إلى الخطاب (وقد شط) أي: بعد (وليها) أي: قربها (وعادت عواد بيننا وخطوب) قال المرزوقي: عادت يجوز أن يكون فاعلت من المعاداة؛ كأن الصوارف والخطوب صارت

---

(١) سورة يس: ٢٢.

(٢) سورة الكوثر: ١-٢، ومثال الالتفات من التكلم إلى الغيبة ﴿إنا أعطيناك الكوثر. فصل لربك وانحر) ومقتضى الظاهر: فصل لنا" انظر مختصر السعد بتحقيقي- (ص١٢٠-١٢١).

(٣) البيتان لعلقمة بن عبدة في ديوانه ص٣٣، والمصباح ص٣٢، والإيضاح ص١٥٨، طحا: ذهب وبعد. الولى: القرب.

(٤) انظر ديوان علقمة الفحل ص٣٣، المفتاح ص١٠٧، الإيضاح ٦٨، شرح عقود الجمان ١١٨/١، معاهد التنصيص ١٧٣/١، طبقات فحول الشعراء ١٣٩/١، الشعر والشعراء ٢٢١، العمدة ٥٧/١.

وهو علقمة بن عبدة بن ناشرة؛ شاعر جاهلي من الطبقة الأولى وكان معاصرا لامرئ القيس.

وإلى الغيبة: ﴿حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِى الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾[1](*).

ومن الغيبة إلى التكلم ﴿وَاللَّهُ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ﴾[2] وإلى الخطاب: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[3].

تعاديه، ويجوز أن يكون من عاد يعود؛ أى: عادت عواد وعوائق كانت تحول بيننا إلى ما كانت عليه قبل)[4].

(*)(ومثال الالتفات من الخطاب إلى الغيبة: قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِى الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾ والقياس: بكم.

(و) مثال الالتفات "من الغيبة إلى التكلم" قوله تعالى: ﴿والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه﴾ ومقتضى الظاهر: فساقه؛ أى: ساق الله ذلك السحاب، وأجراه ﴿إلى بلد﴾ ﴿ميت﴾ (و) مثال الالتفات من الغيبة (إلى الخطاب) قوله تعالى: ﴿مالك يوم الدين.إياك نعبد﴾ ومقتضى الظاهر: إياه (ووجهه) أى: وجه حسن الالتفات (أن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان) ذلك الكلام (أحسن تطرية) أى: تجديدًا وإحداثًا؛ من: طريت الثوب (لنشاط السامع و) كان (أكثر إيقاظًا للإصغاء إليه) أى: إلى ذلك الكلام؛ لأن لكل جديد لذة وهذا وجه حسن الالتفات على الإطلاق (وقد تختص مواقعه بلطائف) غير هذا الوجه العام (كما فى) سورة (الفاتحة؛ فإن العبد إذا ذكر الحقيق بالحمد عن قلب حاضر يجد) ذلك العبد (من نفسه محركًا للإقبال عليه) أى: على ذلك الحقيق بالحمد)[5].

---

(١) يونس: ٢٢.

(٢) فاطر: ٩.

(٣) الفاتحة: ٤ - ٥.

(٤)مختصر السعد- (١٢١).

(٥)مختصر السعد- (١٢٢).

ومن الغيبة إلى الكلام ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ﴾[1] وإلى الخطاب: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[2].

ووجهُهُ[3]: أنَّ الكلامَ إذا نُقِلَ من أسلوبٍ إلى أسلوبٍ: كان أحسنَ تطريةً[4] لنشاطِ السامعِ، وأكثرَ إيقاظًا للإصغاءِ إليه؛ وقد تختصُّ مواقعُهُ بلطائفَ كما فى الفاتحةِ؛ فإن العبد إذا ذكرَ الحقيقَ بالحمد عن قلب حاضر، يجدُ من نفسه محرِّكًا للإقبال عليه، وكلما أجرى عليه صفةً من تلك الصفات العظامِ، قَوِىَ ذلك المحرِّكُ إلى أن يئول الأمرُ إلى خاتمتها المفيدة: أنه مالكُ الأمرِ كله فى يومِ الجزاء، فحينئذ: يوجبُ الإقبال عليه، والخطاب بتخصيصه بغاية الخضوع، والاستعانة فى المهمَّات.

ومِنْ خلاف المقتضى(*): المخاطَبِ بغير ما يَترقَّبُ بحمل كلامِهِ على خلاف مرادِهِ، تَنْبيهًا على أنه هو الأَوْلَى بالقصد؛ كقولِ القَبَعْثَرى للحَجَّاجِ – وقد قال له متوعِّدًا: "لأَحْمِلَنَّكَ عَلَى الأَدْهَمِ!" – "مِثْلُ الأَمِيرِ يَحْمِلُ عَلَى الأَدْهَمِ وَالأَشْهَبِ!"[5] أى: مثلُ كان مِثْلَ الأميرِ فى السلطانِ وبَسْطةِ اليدِ، فجديرٌ بأنْ يُصْفَدَ لا أنْ يَصْفِدَ[6].

(*)(ومن خلاف المقتضى) أى: مقتضى الظاهر (تلقى المخاطب)[7] من إضافة المصدر إلى المفعول أى: تلقى المتكلم المخاطب (بغير ما يترقب) المخاطب، والباء فى: بغير–للتعدية، وفى

---

(١) فاطر: ٩.

(٢) الفاتحة: ٤ – ٥.

(٣) وجه حسن الالتفات.

(٤) أى تجديدًا وإحداثًا.

(٥) فحمل الأدهم فى كلام الحجاج على الفرس الأدهم – وهو الذى غلب سواده حتى ذهب البياض الذى فيه – وضم إليه الأشهب أى الذى غلب بياضه حتى ذهب سواده، ومراد الحجاج إنما هو القيد، فنبه القبعثرى على أن الحمل على الفرس الأدهم هو الأولى بأن يقصده الأمير.

(٦) يصفد كيكرم: بمعنى يعطى، ويصفد كيضرب بمعنى يقيد لكنه فى ط الحلبى: "فجدير بأن يُصْعِدَ لا أن يُصْفِدَ" فليراجع!.

(٧) بكسر الطاء أى التكلم من إضافة المصدر لمفعوله، وهذا أولى من فتح الطاء لما فيه من التعقيد.

(بحمل كلامه) للسببية؛ أى إنما تلقاه بغير ما يترقب بسبب أنه حمل كلامه؛ أى: الكلام الصادر عن المخاطب (على خلاف مراده) أى: مراد المخاطب، وإنما حمل كلامه على خلاف مراده (تنبيها) للمخاطب (على أنه) أى ذلك الغير هو (الأولى بالقصد) والإرادة (كقول القبعثرى للحجاج: وقد قال) أى: الحجاج[1] (له: للقعبثرى[2] (حال كون الحجاج (متوعدا إياه) (لأحملنك على الأدهم)[3] يعنى: القيد؛ هذا مقول قول الحجاج (-مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب) هذا مقول قول القبعثرى؛ فأبرز وعيد الحجاج فى معرض الوعد وتلقاه بغير ما يترقب بأن حمل الأدهم فى كلامه على الفرس الأدهم؛ أى: الذى غلب سواده حتى ذهب البياض، وضم إليه الأشهب؛ أى: الذى غلب بياضه، ومراد الحجاج إنما هو القيد فنبه على أن الحمل على الفرس الأدهم هو الأولى بأن يقصد الأمير (أى: من كان مثل الأمير فى السلطان) أى: الغلبة (وبسطة اليد) أى: الكرم والمال والنعمة (فجدير بأن يصفد) أى: يعطى من أصفده (لا أن يصفد)[4] أى: يقيد من صفده (أو السائل) عطف على المخاطب؛ أى: تلقى السائل (بغير ما يتطلب؛ بتنزيل سؤاله منزلة غيره) أى: غير ذلك السؤال (تنبيها) للسائل (على أنه) أى ذلك الغير (هو الأولى بحاله، أو المهم له، كقوله تعالى: ﴿يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج﴾[5]) سألوا عن سبب اختلاف القمر فى زيادة النور ونقصانه -فأجيبوا ببيان الغرض من هذا الاختلاف؛ وهو أن الأهلة بحسب ذلك

---

(١) الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفى أبو محمد: قائد، داهية، سفاك، خطيب، ولد ونشأ فى الطائف (بالحجاز)، مات بواسط، وأجرى على قبره الماء، فاندرس، [وفاته ٩٥هـ-انظر الأعلام: ١٦٨/٢].

(٢) الصواب ابن القبعثرى وهو الغضبان بن القبعثرى الشيبانى، وكان ممن خرج على الحجاج بن يوسف الثقفى.

(٣) المراد بالأدهم: القيد، فحمله على مراده وهو الفرس الذى غلب سواده على بياضه، وعطف عليه الأشهب وهو الفرس الذى غلب بياضه على سواده.

(٤) أي: جدير بأن يعطى لا أن يقيد؛ لأن الإصفاء: الإعطاء من الصفد وهو العطاء، ويقال-صَفده يصفده-بمعنى قيده، ولهذا يسمى القيد صفاداً.[انظر حاشية الدسوقى على السعد]

(٥) سورة: البقرة، آية: ١٨٩.

أو السائل بغير ما يتـ ـبُ؛ بتنزيلِ سؤالِه مَنْزِلةَ غيره؛ تنبيهًا على أنه الأَوْلَى بحاله، أو المُهِمُّ له؛ كقول تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِى مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾[1]، وكقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَا ـنِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾[2].

ومنه: التعبيرُ عن المستـ ـلِ بلفظِ الماضي؛ تنبيهًا على تحقُّق وقوعه؛ نحوُ: ﴿وَنُفِخَ فِى الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِى الأَرْضِ﴾[3]، ومثْلُه: ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾[4] ونحوُهُ: ﴿ذَلِكَ يَوْ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ﴾[5].

الاختلاف معالم يوقت بها النـ ـس أمورهم من المزارع والمتاجر ومحال الديون والصوم وغير ذلك، ومعالم الحج يعرف بها وقته؛ وذلك للتنبيه على أن الأولى والأليق بحالهم أن يسألوا عن ذلك لأنهم ليسوا ممن يطلعون بسهولة على دقائق علم الهيئة، ولا يتعلق لهم به غرض، (وكقوله تعالى: ﴿يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾[6]) سألوا عن بيان ما ينفقون فأجيبوا ببيان المصارف تنبيها على أن المهم هو السؤال عنها لأن النفقة لا يعتد بها إلا أن تقع موقعها[7].

---

(١) سورة البقرة: ١٧٩.

(٢) سورة البقرة: ٢١٥.

(٣) سورة الزمر: ٦٨.

(٤) سورة الذاريات: ٦.

(٥) سورة هود: ١٠٣.

(٦) سورة: البقرة، آية: ٢١٥.

(٧)مختصر السعد- (١٢٣-١٢٥).

ومنه: القَلْبُ[1](*)؛ نحوُ: عَرَضْتُ الناقةَ على الحَوْضِ.

(*)(أى: من خلاف مقتضى الظاهر (القلب)[2] وهو أن يجعل أحد أجزاء الكلام مكان الآخر والآخر مكانه (نحو: عرضت الناقة على الحوض)[3] مكان عرضت الحوض على الناقة؛ أى: أظهرته عليها لتشرب (وقبله) أى: القلب (السكاكى مطلقًا)[4] وقال: إنه مما يورث الكلام ملاحة (ورده غيره) أى: غير السكاكى (مطلقًا)[5] لأنه عكس المطلوب ونقيض المقصود (والحق أنه إن تضمن اعتبارا لطيفا)[6] غير الملاحة التى أورثها نفس القلب (-قبل، كقوله: ومهمه)[7] أى: مفازة (مغبرة) أى: مملوءة بالغبرة (أرجاؤه) أى: أطرافه ونواحيه؛ جمع الرجا مقصورا (كان لون أرضه سماؤه) على حذف المضاف (أى: لونها) يعنى:

---

(١) هو أن يجعل أحد أجزاء الكلام مكان الآخر والآخر مكانه.

(٢)هو فى الاصطلاح أن يجعل جزء من الكلام مكان آخر ويجعل الآخر مكانه على وجه يثبت حكم كل منهما للآخر، فليس منه نحو -فى الدار زيد، وضرب عمرًا- وهو قسمان: لفظى ومعنوى، وسيأتى بيانهما.

(٣)هذا من القلب المعنوى؛ لأن المعروض عليه يجب أن يكون ذا شعور واختيار لأجل أن يميل إلى المعروض أو يحجم عنه، ولكن لما كان المعتاد فى ذلك أن يؤتى بالمعروض إلى المعروض عليه وكانت الناقة هى التى يؤتى بها إلى الحوض نزل كل منهما منزلة الآخر، وقيل: إنه لا قلب فى ذلك وإنما القلب فى "عرضت الحوض على الناقة" لأن المعروض عليه والمستقر"[المصدر السابق].

(٤)لأن قلب الكلام مما يحوج إلى التنبه للأصل، وذلك مما يورث الكلام ملاحظة ولطفًا[المصدر السابق نفسه].

(٥)لأنه عكس المطلوب ونقيض المقصود، وقيل: إنه لا يكاد أحد يمنعه مطلقًا لوروده فى القرآن الكريم وفصيح الكلام، ولعلهم يردون القلب اللفظى دون المعنوى. [انظر حاشية الدسوقى على السعد].

(٦)أى: غير تلك الملاحة التى احتج بها من قبله مطلقًا، وذلك كالاعتبار السابق فى قولهم "عرضت الناقة على الحوض" وكالاعتبارات الآتية فى باقى الأمثلة وإنما لم يقبل القلب إلا بهذا؛ لأنه من غيره يكون عدولا عن مقتضى الظاهر من غير نكتة يعتد بها، إذ لا يعتد فيه بتلك الملاحة العامة وحدها، ولا يخفى أن القلب بتلك الملاحة يكون من المحسنات البديعية، فالأليق ذكره فى علم البديع؛ لأن تلك الاعتبارات التى يقبل بها فى علم المعانى ليست محدودة ولا مضبوطة، وهى مع هذا شرط لحسنه ولا توجبه [انظر بغية الإيضاح: ١/١٦٤].

(٧)الرجز لرؤبة فى ديوانه ص٣، والأشباه والنظائر ٢/٢٩٦، وخزانة الأدب ٦/٤٥٨، وشرح التصريح ٢/٣٣٩، والمفتاح ص ١١٣، وشرح عقود الجمان ١/٩٨، والمهمه: الأرض القفر والمفازة.

وقَبِلَهُ السكاكيُّ مطلقًا.

وردَّه غيره مطلقًا.

والحق: أنه إنْ تضمن اعتبارًا لطيفًا، قُبِلَ؛ كقوله [من الرجز]:

وَمَهْمَهٍ مُغْبَرَّةٍ أَرْجَاؤُهُ كَأَنَّ لَوْنَ أَرْضِهِ سَمَاءُهُ

أى: لونُها.

وإلا رُدَّ؛ كقوله [من الوافر]:

كَمَا طَيَّنْتَ بِالْفَدَنِ السِّيَاعَا

أحوالُ المسنَدِ

ترك المسند اليه:.....

لون السماء، فالمصراع الأخير من باب القلب، والمعنى: كأن لون سمائه لغبرتها لون أرضه، والاعتبار اللطيف هو المبالغة فى وصف لون السماء بالغبرة حتى كأنه صار بحيث يشبه به لون الأرض فى ذلك مع أن الأرض أصل فيه (وإلا) أى: وإن لم يتضمن اعتبارًا لطيفًا (رد) لأنه عدول عن مقتضى الظاهر من غير نكتة يعتد بها (كقوله[1]:)فلما أن جرى سمن عليها (كما طينت بالفدن) أى: القصر (السياعا) أى: الطين بالتبن؛ والمعنى: كما طينت الفدن بالسمن ما لا يتضمنه قوله: طينت الفدن بالسياع لإيهامه أن السياع قد بلغ من العظم والكثرة إلى أن صار بمنزلة الأصل، والفدن بالنسبة إليه كالسياع بالنسبة إلى الفدن)[2].

---

(١)البيت من الوافر، وهو للقطامى فى ديوانه ص٤٠، يصف ناقته، وأساس البلاغة ص ٣٣٦ (فدن)، وجمهرة اللغة ص٨٥٤، والمفتاح ص٢١١، ومعاهد التنصيص ١/١٧٩، وعجزه فى المصباح ص٤١، ويروى [السياعا]، والفدن: القصر، السياعا: الطين المخلوط تبنا تدهن به الأبنية، يعنى أن ناقته صارت ملساء من السمن كالقصر المطين بالسياع.

(٢)مختصر السعد- (١٢٦-١٢٧).